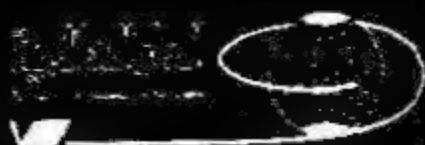


الشهيد الدكتور علي شريفي

# النبأ حقة واللامستحمار



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع

بناية الكومودور سنتر - الحمراء -

لبنان - بيروت - ص.ب ٦٣٨١ / ١١٣

تلفون ٣١٧٩٤٩

الشهيد الدكتور علي شريمتي

# النبا همة والبر استعمار



## بِسْمِهِ تَعَالَى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد ،  
وآله الطاهرين ، وبعد ، فهذه محاضرة ألقاها الدكتور علي  
شريعني ، رحمه الله ، في قاعة حسينية ( ارشاد ) ،  
بظهران ، وقد سجلت على اشرطة ، ثم نقلت على  
السورقة ، وجمعت بين دفتي كتاب ، سمي ( خود انكاهي  
استحمام ) أي ( النباهة والاستحمام ) . ونحن نقدمها  
لقراء العربية ، آملين الاستفادة منها ، والله خير موفق  
ومعين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الفصل الأول

إن الحالة الخاصة التي نعيشها ، تفرض علينا ان نقول كلمتنا الأخيرة أولاً ، وأن نقرأ الكتاب من آخره ؛ ومن هنا ، فإن الموضوع قد يبدو مملاً للذين لم يتعرفوا بعد على الظروف الفكرية للقضايا التي سأعرضها ، وقد يحتاجون لمزيد من التأمل والدقة ؛ ومهما يكن ، فاني أعرض في هذه الجلسة ، أفكاراً تحتاج لجلسات عدة ، لكن ، لعدم توفر الفرص ، سأقول في أول كلمتي ، ما كان ينبغي أن أقوله في آخرها ؛ وهذا مما يزيد في إبهام الموضوع ، خصوصاً ان الكلام يدور حول مسائل فكرية وليس علمية .

وقبل البدء بالشرح والتفصيل ، أريد أن أقول : يجب ان نكون نبهين ، ولا نتوهم انفسنا مغتئين فكرياً بالكفاءة

العلمية ، لأن تلك كفاءة كساذبة ، ومُدعى الاكتفاء كاذب ، وهذا نوع من الغش الذي يختص به المثقفون والمتنورون في زماننا ، لأن المتعلم بعد أن ينال دراسات عالية ، ويكتسب معلومات واسعة ، ويتعرف الى اساتذة كبار ، والى كتب مهمة ، يشعر أنه أصبح مشبعاً بالعلم ، ويحس في نفسه رضى وغروراً ، ويظن انه بلغ من الناحية الفكرية أقصى ما يمكن ان يبلغه الانسان الواعي ؛ ولا شك أن هذا انخداع يتلى به المتعلم أكثر من غيره .

قد لا يفكر الاستاذ ، أو الفيزيائي ، أو الفيلسوف ، أو الاديب ، أو المؤرخ ، أنه يمكن أن يكون لا شيء من الناحية الفكرية ، وأنه في مستوى أقل العوام شعوراً ، وحتى الأمي الذي لا يحسن الخط مثلاً ، قد يكون أرقى منزلة في الدراية الشخصية وفي معرفة الزمان والمجتمع . إن بقاء المتعلم جاهلاً ، والمثقف فاقداً للشعور ، واعطاء كل منهما القاباً بارزة ، كالدكتور والمهندس والبروفسور لحالة مؤلمة جداً ، فيما لو استمر أي منهم . عديم الفهم والنباهة ، والشعور بالمسؤولية تجاه حركة التاريخ ، التي تأخذ معها ، هو ومجتمعه في هذا الزمان .

إن خطر بقاء المتعلم جاهلاً ، وأخرس ، وأعمى ، ولا شيء لخطر كبير جداً ، لأن الانسان إذا أشبع بالعلم ، لم



يعد يشعر بالجوع الفكري ، حيث أن المتعلمين في هذه  
الايام ينظرون الى قضايا العلم منفصلة عن قضايا الفكر .

## اختيار المقرر

إن مجتمعات العالم الثالث ، في اسيا وافريقيا واميركا اللاتنية ، المتأخرة صناعيا ، والتي لم تصل بعد الى مستوى الأوروبيين والأمركيين في شتى المناحي الفنية والفلسفية ، - ان هذه المجتمعات الفقيرة المتخلفة - تملك قدرات هائلة ، وتقف مكافحة ضد الغرب ، وتجره على الخضوع والاستسلام ، في وقت بلغ الغرب فيه الذروة من حيث التقدم العلمي والتقني والفلسفي . وبالرغم من اقدمه على شراء النلبغين والمتفوقين من العالم الثالث ، حيث أنه مركز المال ، وهذه الكفاءات صارت كالسلع المعدة للبيع والشراء ، تتبع المال اينما كان .

إن امتلاك الغرب للميراث العلمي ، واحتفاظه بجميع

الذخائر في الفروع العلمية كافة ، سواء منها ، تلك التي ابتدعها هو ، أو تلك التي أخذها عن ، غيره ، فبلغ بها ذروة التكامل العلمي والفلسفي والتكنولوجي ، لا يمنعه من الخضوع أمام مجتمعات لا تملك أي نوع من انواع الاسلحة ، وقد يكون أفرادها حفاة ، ولا يمتلكون حتى آلة للدفاع عن حياتهم ، وحياة أسرهم . فمن هما طرفا الجدل والقتال في هذا العصر اذا ؟ ! .

هناك مجموعة من القدرات العلمية والصناعية ، تقاتل جماعة تفتقد الصنعة والعلم ، ومصير هذا القتال بعد عدة أشهر وسنين ، سيكون لصالح اولئك الحفاة في هذه الدنيا ، سيكون بلا شك لصالح اولئك الذين لا يقرأون ولا يكتبون ، وستخسر تلك القدرات التي حازت الذخائر العلمية والفنية طيلة تاريخ البشر !! فمن يقتتل مع من ؟؟

العلم في معركة مع « الفكر » ؛ هذا الحافي الجائع ، الذي قضى عليه ان يبقى فقيراً مريضاً ، تسليح بالايمان والعقيدة ، واستطاع بنباهته من التغلب على ذاك الذي جمع المقدرات العلمية والصناعية والفلسفية البشرية ، وادخر ثروة العالم ، رغم كونه أمياً . اذا ! هناك شيء آخر ، غير الثروة والقدرة والعلم والفلسفة والتكنولوجيا ، شيء لو صرفنا النظر « عن وجوده » لهزمنا أمام حفاة

الدهر ، وان كانوا عبيداً مظلومين ، لأننا ننهار من الداخل ، حتى لو بلغنا ذروة التكامل ، كما بلغ الغرب المتحول اليوم ( شرط ان نبلغ ، لكننا لا نبلغ ) .

ومن هنا تقف المجتمعات التي تريد أن « تختار » أمام طريقتين : طريق العلم والرأسمالية والقدرة والصناعة ، وطريق الفكر والعقيدة . ومن المسلم به ، أن المجتمع الذي يرتبط بهدف عال ، بعقيدة وإيمان ، يتفوق على كل قدرة ، حتى ولو كانت القوة التي تسيطر على « المنظومة الشمسية » . وان مجتمعاً كهذا ، ستكون له بعد عشر سنين ، او خمس عشرة سنة حضارة ، كما ستكون له صناعة ، وستُنتج على مستوى عالمي ايضاً . وهناك نماذج كثيرة في الزمن الماضي ، وفي وقتنا الحاضر . أما إذا كان المجتمع فاقداً لنموذج يهدف اليه ، فاقداً للإيمان ، وللوعي الشخصي والاجتماعي وليس همه الا الصناعة والرأسمالية ، أو ما يسمى اليوم بالتقدم العلمي والصناعي ( فإن وفق لنيل ما يروم ، ولن يوفق ) فإنه سيبقى مستهلكاً ، وان ظن أنه منتج . وهذه هي الخديعة الكبرى ، التي وقعت فيها جميع البلاد المتأخرة ، فخسرت ذلك الشيء الذي يهب الرقيق العجوز المحروم قدرة تزلزل العجائب . وهكذا ؛ فإذا كنا أصحاب عقيدة ، فإنه متى وفقنا ان نجتاز مرحلة الايمان بنجاح ، فإننا سنكون صانعين

لا كـر حضارة . أما اذا لم نشعر بنقص فكري ، ولم  
تـكشـف لنا قضية الايمان والعقيدة ، ولم تتضح طريقنا ،  
فإننا سنبقى محتاجين أرقاء للمتجبن ، نعتمد على  
حضارتهم ، ونستهلك انتاجهم .

وللمجتمعات المتأخرة ، كما يقول فانون ، مصير  
متشابه ، ولها حاجات واحدة ، لأنها تواجه قدرات متشابهة  
في زمن مشترك واحد ، وعليها ان تختار بين « الفكر » و  
« الحضارة » من غير فكر ، ونعني « بالحضارة » ما يخرج  
المتحضرين لنا ؛ ومن هنا ، أزمة المثقف اليوم في البلاد  
المتأخرة ، في الشرق الادنى ، او الشرق الاقصى ، أو  
اميركا اللاتينية ولا فرق في ذلك .

ولقد كشفت التجارب ، طيلة الخمسين سنة الماضية ،  
أن المجتمعات التي بدأت من نقطة عقائدية ، وتحركت بعد  
تحقق وعيها الفردي والاجتماعي ، وقفت اليوم في صف  
القدرات التي تصنع الحضارة العالمية . لكن المجتمعات  
التي اقتدت بالحضارة الغربية ، دون وعي اجتماعي ، أو  
شعور انساني بالوعي الفردي ، ودون عقيدة ، بل بمجرد  
نهضة كاذبة ، قد ظلت مستثمرة للحضارة العربية ،  
مستهلكة على الدوام ، وخاضعة للذل والعبودية تحت  
سيطرة الغرب ، والامثلة والنماذج على ذلك متوفرة  
وكثيرة !! .

## ما أقرب الانسان وهو بعيد !

ان الذي أريد قوله : هو ان الدين<sup>(١)</sup> ، الدين الذي هو فوق العلم ؛ يعتبر الانسان ذاتاً أرقى وأشرف من جميع المظاهر الطبيعية ؛ هذا هو اعتقاد الدين ، واعتقاد « الاكزيستانسياليين » ايضاً ، وصارت نفسه ، الذي لم يؤمن بالله ، يعتبر الانسان ذاتاً منفصلة عن جميع كائنات الطبيعة ، وعنده أن الانسان قطع حبل اتصاله بالسما ،

---

(١) اردت بالدين ، غير الدين المتوارث حسب السنن والعادات ، لان الأديان الوراثية كلها متشابهة ، ولأن الشيء الذي يُتخذُ وراثته وسُنّة واعتياداً من غير علم وبصيرة ، كيفما كان ومهما كان هو مردود . ولا فرق في ذلك بين الأديان والمذاهب ، حيث لا درجات في الجهل . لذا فإن البحث بدور على « الدين الأرقى من العلم » لا الدين الذي نُقِنَ تلقيناً ، وتسلمه الخلف عن السلف ، كمجموعة عادات ومنن تقليدية مكررة . ان الجيل الواعي يرفض هذا ، ولا يستمع له ، ورفضه شيء طبيعي ، وان لم يكن قد ألقى هذه السنن والخصائص الموروثة اللاعقلية في المهملات ، فإنه سيلقيها غداً . إن هذا شيء محتم ، يفرضه الوعي . وتلكبادرة راقية اتطلع الى خط سيرها ، وأفكر فيه . يتمرد الجيل الوراثي الإيراني ، على السنن اللاعقلية ، التي نُحِلَّت اليه ، فيرفضها كلها أولاً ، ثم يصل الى مرحلة فارغة تماماً ؛ هي الوجع والاضطراب ، والبحث والريبة ، والحاجة الى استكشاف الطريق الذي يجده في النهاية . واكتشاف الدين بعد رفض السنن الوراثية المتحجرة ، هو الشيء الذي يحصل اليوم ، لا على مستوى ايران محسب ، بل على مستوى المتحفين في العالم كله . انه الدين الذي يتجاوز الفلسفة والعلم والصنعة ، انه دين المعرفة والتبني ، لا دين السنن الوراثية المنصرمة التي لا يُعرف تاريخها ، أهو الى ما قبل الفي سنة ؟ أم الى =

ووكل امره الى نفسه ، فهو الذي يصنعها ، ويصنع مصيره  
وهو رب نفسه ، مسلط على الطبيعة ومسخر لقواها ،  
خلافاً لسائر الكائنات المخلوقة من الطبيعة والمستسلمة  
لها . ومن هنا ؛ الكائنات المخلوقة من الطبيعة والمستسلمة  
لها . ومن هنا ؛ نرى أن الدين « والاكريزتانيسم »  
و« الاماينسم » يلتقون في نقطة واحدة ، تعرف بأصالة  
الانسان ، ورجحان ذاته على جميع مظاهر الطبيعة .

لقد رفع الاسلام قدر الانسان ، واكرمه الى حد قصرت  
ان ترفعه اليه المكاتب الاومانيسيتية المصرية على رفعه  
واجلاله ، حيث جعله الاسلام صفوة الله ، وخليفته بين  
الكائنات ، وسخر له كل قوى الطبيعة ، وأمر ملائكته  
بالسجود أمامه ، والتسليم له بالعبودية . أما عمله  
كعمل الله تماماً ، وبإمكانه ان يشابهه في العمل ، في عالم  
المادة وفي عالم-الطبيعة ، إن باستطاعته أن يكون خالقاً ،  
عارفاً ، مدبراً ومختاراً مطلق القيد من أي جبر . وهذه  
الصفات الخاصة بالله ، نُسبت للانسان في الاسلام  
بدرجات منخفضة . عارف ذو ارادة ، مختار خالق ، مغير  
متمرد ، ومسخر لكل انظمة الطبيعة ، ومغير لمصيره  
التاريخي ولمجتمعه وحتى لذاته .

---

= زمان ناصر الدين شاه ؟! وكل ما في الأمر ، أنها اصحت مقدسة لقدمها

## في كل يوم :

هذا الموجود ، ذو القيم الالهية ، يسعى خلف رزقه اليومي ، الرزق القاتل للانسان الحي ، انه الهوة التي تغور فيها أعز قيم الانسان الالهية كل يوم . الحياة اليومية ، تلك الدورة الرتيبة التي فرضت وجودها على كل المخلوقات ، من الجراثيم الى الحيوانات ، يقع الانسان في دورانها الأحمق ؛ يأكل وينام ، ثم يستيقظ ليكدح ويأكل ، ثم يعود يأكل ليكدح فيرتاح ، ومن ثم ليعمل وقت فراغه ، وكيفما نظرت تراه في دوران ممل ومتعب ، انتاج للاستهلاك ، واستهلاك للانتاج ، إنها مسيرة الانسان في وقتنا الحاضر ، وكذلك كانت في الماضي ، شرقياً كان أم غربياً ، وفي هذا الدوران الباطل نظراً على الانسان مشاعر خاصة ! عقد نفسية ، ضغائن ، اهواء ، وآلام خاصة تُعجزُ الانسان النبیه . .

قد تشاهدون احياناً احدكم يشكو ويعتب ، ويضج ليعرب عن ألم هو مضحك جداً ! وينبغي أن نضحك من بلاهته !! ولو أعددنا قائمة بمجموعة الاشياء التي نتمناها في حياتنا اليومية ، او نأمل الحصول عليها لننعم بها ، او نغبط الآخرين لوجودها لديهم ، ونسعى للحصول عليها ؛ ولاحظنا ذلك بوعي وانتباه ؛ لاستنكرنا انفسنا ،



واستقبحنا وجودنا ، واستعبتنا حياتنا ، لأن الانسان عندما يُدرك هذه الاشياء تدريجياً ، يدرك القضايا الخارجة عن اطار نفسه وبيته . فيشعر براحة مثلاً لشيء في بيته ليس له مثيل في بيوت الآخرين ، واذا ساعدته الظروف قد يتمكن من شراء قطعة قماش ثمينة ، او قد يتأخر في الحضور ، فيشتريها غيره ، ويلبسها في المحافل بدلاً منه ، وعندئذ تعلو الصرخة ، ويلاه !! ما أبأسه وما اشقاء ؟! . ثم ما أكثر اللذات والخسرات والتهديدات ، ومن ثم التضحية بكل شيء ، من أجل الحصول على أبخس الأشياء ! ان هذا الانسان ، الذي يفتال فخراً ، ويعلو برأسه الى عنان السماء ، نراه يتقبل الذل الى حد يأباه الكلب ، من أجل أدنى رتبة وأحقدر درجة ، بل وحتى من أجل خيال !! من هنا ، نعرف قابلية الانسان للصلافة والشقاء ؛ إنها ما وراء كل الموجدات .

وقد ترون انساناً يكاد أن يُصاب بنوبة قاتلة ، وهو من شدة الفرحه يجول في داره ويرقص ؛ لماذا ؟ لأنه لمح سيارة الرئيس في الدائرة صباحاً ، فرأى في نظرتة اليه شيئاً من الرضى . نصف بسمة ظهرت على شفتي الرئيس ، كما تظهر على شفتي صاحب الكلب حينما ينظر الى كلبه ، حركت فيه اللذائد ! . . . ولو اعددنا قائمة بأسياء الأشياء

التي نطلق عليها اسم اللذة ، الأشياء التي ما زالت تجول في أذهاننا ، ونسعى للحصول عليها ؛ مهما كانت ، لباساً ، سيارة ، داراً ، درجة دراسة ، او مقاماً لرأينا أي غايل ونفيس نصحي به من أجلها ! نصحي بالزمان والانسان ، بالذكاء والنباهة ، بالقابلية والفخر الالهي ، بامكانية التمرد ، بقابلية الاختيار الحر ، بقابلية قوة الرفض ، بقوة البناء والتشيد ، بقوة التغيير ، بقوة تبديل المصير ، بقوة الرفض لكل ما حملنا ، واستبدال ما نريد . نفدي كل هذه الأمور ، دون أن نشعر بها ، ودون أن نملك لحظة من الزمان من أجل ان نتأمل فيها . وهكذا ؛ نجد الانسان في حياته اليومية متجهاً الى خارجه دائماً ، ومقبلاً على ما يوفر له اللذائذ ، ومائلاً نحو شهواته ، ونجد « أنا » تلك التي هي من الله تهبط من العرش ، الى الحضيض لتغمس كالذودة في الماء المتعفن بالأقذار . ومن ثم ؛ تنقطع « أنا » ذات الوجود المتصل ، قطعة قطعة ، وتقع كل قطعة منها في مصيدة شهوة قذرة ، وهوى أجوف ، وأمنية سخيفة !! وحاصل ذلك ، التضحية بأعز الأشياء من أجل الحصول على أسخفها وأقذرها ! .

هزة :

لا اريد ان انصح اخلاقياً ؛ فالانسان يمضي ليصير الى الفناء ، أما قيمة الانسانية فتزداد دماراً بمرور الأيام . ان

أكبر قيم الانسان ، تلك التي بدأ منها ، وهي الرفض و  
« عدم التسليم » وما يلخص بكلمة « لا » حيث منها بدأ  
آدم أبو البشر . لقد أُمرَ أن لا يأكل من تلك الثمرة ،  
لكنه أكل ، فصار بعدئذ آدم ، وصار بشراً ، وهبط الى  
الأرض ؛ ولولا ذلك لصار ملكاً ، وصار غيره آدم  
وأول ما يبدأ آدم بهدمه في حياته اليومية هو التمرد ،  
التمرد الذي يجعله مشابهاً لربه في الكون ؛ لماذا ؟ قد  
يكون من أجل دين ، وقع للوفاء به سفتجات<sup>(١)</sup> على مدى  
سنتين او ثلاث او أربع ، ولا يمكنه الانكار بعد ذلك ،  
ولا يسعه إلا أن يقول ، عند المطالبة به ! سمعاً وطاعة ،  
لأن الدين موزع على سفتجات حسب راتبه وامكانياته .  
ومن هنا ، نرى ان صفته الالهية تذهب ضحية ثلاثة او  
دار او سيارة ، وهذا الانسان لا يدري أي شيء خسر ،  
وأي شيء ناله بدل الذي خسره ، ولا يدري بأي شيء  
يتلذذ ، وكم هو قدر لذته بنعمة السيارة التي ضمن من  
أجلها بعدم استسلامه ، وقابلية الوهيته ، وكونه خليفة الله  
في أرضه حتى يساري لذة تمرد ورفضه . لا شك أن من  
أدرك لذة التمرد والرفض والنباهة لن يبذلها بأي شيء ،  
ولن يبيعها مهما غلا الثمن ، لكن ؛ ما الذي حدث حتى

---

(١) صكوك .

بدلنا ذلك بسهولة ؟ ! انه لا نباحة لنا ، ونحن لا نستقيم  
إلا بعد أن تعلونا يد قوية ، او يُظَلَّلُ علينا بسوط قاسٍ .  
ان تلك اليد ترفعنا ، من غفلة شغلنا الاداري والعائلي ،  
وحتى من نومنا ، لنشعر بما مضى من الزمان ، وما فات  
من العمر ، وكم بقي منه ، وكم سوفنا من الفرص ، وكم  
ضيّعنا من النعم والقيم لانشغالنا بغيرها . وبعد : ان  
تلك اليد تخرجنا من بين الأقدار ، وتجففنا تحت اشعة  
الشمس ، ثم تضربنا بشدة منبهة : ايها الانسان ! أنت !  
أنت !! .

### العبث

ولنضرب مثلاً ؛ هذا « ابراهيم الأدهم » . رجل لاخير  
فيه ، ولا معنى له ؛ ذو ثروة طائلة ، لكنه عاطل عن  
العمل ، ولا شغل له إلا الصيد . غيره يكدح ، وهو  
يأكل . ماذا يعمل اذا ؟ إنه يذهب الى الصيد ، لقد اعتاد  
عليه حتى أنس به ، وصار همه الوحيد ، تراه يهش اذا  
اصطاد وحشاً ، فيمتلأ به سروراً وفتحة . وقد لا تكون له  
حاجة بلحمه او بجلده ، سوى أنه يلتذ بذلك . إنه لداء  
قذر ان ينصرف انسان بتلك العظمة كلها ، الى عمل  
كمثل هذا يُشْبِعُ نزوة ويحقق لهواً ، انها فلسفة حياة

« ابراهيم الأدهم » ، إنها أسطورة ، لكنها أصدق من الواقع .

وبينما كان « ابراهيم » في صيده ذات يوم ، وقفت فرسه في مكانها ، ولم تتحرك ، كأن شخصاً وقف في وجهها ، وإذا بصوت كأنه الرعد ، يشق مسامعه : « يا ابراهيم ، لهذا خلقتك الله ؟ » أحجم ابراهيم وتنبه ، لسنا واعين لأمر ننسبها الى انفسنا كذباً ، وفي الوقت نفسه ، نحن محرومون أكثر من أي شخص ، وقف ابراهيم ، وكأنه لأول مرة تعرف الى شخص ، أطلع على وجود عظيم ، وهكذا وقف « ابراهيم الأدهم » وتراجع ، ورجع انساناً يشعر الواحد امام رفيع درجته ، وعلو مقامه بالصغر والحقارة .

### المتنعم بالذل :

هكذا كان ! اميراً يعيش في قفص أعد له من الذهب ، كل شيء حوله قد هُيِّئ له ، لقد عملوا له غابة ، وضعوا فيها صيداً ليكون جاهزاً له متى أراد ، وفي مكان آخر ؛ كانت مسابح ، وحول كل مسبح شجرة من النيلوفر بلون خاص : حدائق ، قاعات ، ملاهى ، راقصات ، وذات يوم خرج هذا من القفص ، فرأى ميتاً ، فسأل :

- ما هذا ؟
- هذا مصير الانسان !
- وأنا ايضاً !
- نعم !
- ما هو الموت ؟
- الموت حالة نصيب كل حي في نهاية عمره !
- وبعدها كيف يكون ؟
- كل واحد ، يتبدل الى جيفه ، مهما كان ، واينما كان !
- واذا ، حدث ورأى مريضاً ، قال :
- من هذا ؟
- مريض !!
- ما هو المريض ؟
- المرض عرض يصيب الانسان ، قبل موته صغيراً كان
- او كبيراً ، قوياً او ضعيفاً !
- يصيبني انا ايضاً ؟
- نعم ! المرض لا يهتم بحصار ولا جدار ولا حاجب !
- وبعده غدٍ : قد يقول :
- من هذا ؟ المنحنية قامته ؟؟
- هذا شيخ عجوز !
- هو مصير محتوم لكل انسان !
- وحتى لي انا ايضاً ؟

- نعم ، حتى أنت !!

وفي آخر ، قد يسأل :

- من هذا ؟

- هذا سائل مسكين !

- ما هو السائل المسكين ؟

- هو الانسان ، ذو الفاقة ، الذي لا يملك إلا جملته

الشحاذة ، ليكون طفيلياً عند هذا وذاك ليشتبع بطنه

إن هذه الصدمات الاربع ، تنبه ذلك الرجل الذي يسرح  
ويمرح في جنته ، غير منتبه ، يعيش في هدوء ورفاهية ،

وهو من كل شيء في جهل تام . هذه الصدمات الاربع  
التي لا تعرف اميراً ولا « بودا » تنبهه . ويدرك فجأة في أي

راحة قدرة هو ، ووسط أي لذائذ مجوفة كان يعيش ، حتى  
نسي في غوغاء تلك اللذات ثروات مجهولة ، وعندها

يتمرد ، والشئ الوحيد الذي يستطيع فعله ، هو أن يفر  
« منها » جميعاً ، ودون حسرة للعودة ، او تفكير في

عطش ، او حاجة للحياة في قصر بنارس ! حرّاً ! حرّاً ! (١)

كرأس شجر الخيزران طليقاً من قيد الاعوجاج ، وانت  
الذي في أسر بيتك وثروتك وسعادتك ، كشجرة مليئة  
بالثمار ، وقد تدلت أغصانها الى الارض ، وأوشكت على

---

(١) هدم بعض عبارات بودا نفسه .

الانكسار ، لكن رؤوس أغصان شجر السرو الممتدة نحو الشمس لا تخضع لثقل حمل !! وأنت أنت !! يا من تجلى الله فيك ، أنت يا من خصيصةك ال « لا » أنت ! كالنيلوفر تحت أشعة الشمس ، تشع داخل مجهول لا تعلمه ، فاجعل وجودك ثميناً ، وانبذ كل المظاهر والاهواء التي مزقت حياتنا اليومية ، فذهبنا ضحية شهوانتنا وأحقادنا وحسراتنا ، جانب تلك الامور السخيفة المحقرة للانسان ، التي جعلته لعبة ، وجسدت فيه خصائص حيوانات كالقار والذئب والخنزير . حيث نسي سيادته وعزته والوهيته ، وكونه خليفة الله في أرضه ، نسي قابليته وقيمه التي لم تُعطَ لغيره ، وراح يستهلك نفسه ، ويُدُّها ويعبدها لغيره ، ويتملق بسهولة ، غير شاعر أنه يضحي بكل انسانيته ، بالثناء الكاذب على غيره ، من أجل الحصول على بغيته . لكن الذي يُطاطىء رأسه ويتملق له ، فانه لا يعود انساناً !! انه لم يشعر بعد ، أنه في تعبده وخضوعه لغيره ، يخسر شيئاً لا يعرف ثمنه !!

### امثال وحكم :

كان أحد المدرسين ، يعظني مواعظ مليئة بسوء الادب ، لكنها ، بليغة جداً . كان يعظني ويقول : إنه لا ينبغي على الانسان ان يكون شديداً على الآخرين ، بل



عليه ان يكون ذكياً محافظاً على منفعتيه ، فلا يُسَوِّفَ  
الفرص . ومضى يقول : ان شخصاً آخر كان ينصحه ،  
ويقول : ان هذه اللحية ، ( اللحية من علائم شرف  
الرجل ووقاره ) ليست ذات اهمية ، وقد تقصي الظروف  
والمنافع أحياناً ، ان يضعها الانسان في ما تحت الحمار !  
أجل . . من أجل المنافع ، ثم يُخرجها فيغسلها  
« بالشامبو » والصابون ، ويُعَطِّرُها ، حتى تعود لحية ولا  
شيء عليها ! ولم ينقص منها شيء ؛ بل تكون قد قضت  
حاجته ايضاً ! هذه هي فلسفة حياتنا قد ظهرت بوقاحة ،  
لكن أعمالنا بدت أوقع منها !! .



# الْفَصْلُ الثَّانِي



إن الشيء الذي يدفعني الى نفسي ، ويدعوني دائماً من خارج هذه المشاغل ، التي غالباً ما تجعلني ضحية لها ، هو ( النباهة الفردية ) . أو النباهة النفسية تلك التي تدفعني كل حين ، لأرى نفسي ، مع أنه ليس من أحد ، يرى صورته الحقيقية نصب عينيه ؛ حتى أولئك الذين يقفون أمام المرأة ثلاث أو أربع ساعات كل يوم ، ما اتفق مرة أن رأوا أنفسهم ! فالمعرفة النفسية إذاً ، أو الدراية الفردية أو النباهة الموجودة عند الفرد ، بالنسبة لنفسه ، هي فوق معرفة الفلسفة والعلم والصناعة . فالأخيرة معرفة ، لكنها ليست « معرفة نفسية » أي ليست الشيء الذي يريني نفسي على حقيقتها ، فيستخرجني ليعرفني ذاتي ،

وباختصار ، ليست الشيء الذي يلفت انتباهي الى قدرتي وقيمتي . حقاً : إن قيمة كل واحد منا على قدر ايمانه بنفسه . ولو نظرنا الى انظمتنا التربوية والاجتماعية ، لرأينا مأساتنا بوضوح ، فكم حقرونا في هذا المجال ؟! لقد أذلونا الى حد ، بتنا معه لا نؤمن بقابليات قدراتنا ذاتها ، أصبحنا نرى انفسنا في عجزٍ تأباه حتى فراخ الحيوانات !! فنحن عاجزون عن الانتقاد ، عن الاستفسار ، وحتى عن الكلام ! صرنا ، لا نجرأ ان نتصور اننا قادرون على أي عمل صغير ! نعم . . . بلغنا هذا المستوى من الضعف وعدم الثقة بالنفس !! ولا شك ، أن الجيل الذي يستحق نفسه بنفسه ، يكون حقيراً ايضاً ، فسياسة الاستعباد ، حتى يظن هذا الاخير نفسه من أسرة منحطة ، وطبقة دنيا ، فيسهل عليه عندئذ تقبل المذلة بصدرٍ رحب ، ويلجأ مستسلماً الى حضن الرق والعبودية .

أصفر فأصفر :

... ماذا عمل بنا الغرب نحن المسلمين ، نحن الشرقيين ؟ لقد احتقر ديننا ، أدبنا ، فكرنا ، ماضينا ، تاريخنا وأصالتنا ، لقد استصغر كل شيء لنا ، الى حد أخذنا معه نهزأ بأنفسنا !! أما الغربيون فقد فضلوا أنفسهم وأعزوها ورفعوها ، ورحنا نحن نقلدهم في الأزياء

والأطوار والحركات والكلام والمناسبات ، وبلغ بنا الامر أن المثقفين عندنا صاروا يفخسون بأنهم نسوا لغتهم الأصلية !! ما هذه السخافة ؟ هكذا يفخر الإنسان بفقد شعوره ! إنه لأمر عجيب . ! أفلا يكفي الواحد منا فخراً أنه تعلم اللغة الافرنجية ، حتى يفخر ايضاً بأنه نسي لغته الأصلية ؟ وما أشبهه عندئذ بالطفل ، الذي تهينه أمه ، وتضربه فيلجأ اليها ليأمن سخطها ! هكذا يلجأ العصر الذي يعتبر نفسه راقياً ، والشعب الذي يعتز بتمدنه وحضارته لتحقير أقوام أخرى ، لأجل السيطرة عليها واستعمارها ، يعمل الأجنبي إذاً على تحقير دين الشرقي ، وإيمانه ، أدبه وفكره ، كبار رجاله ، ماضيه وكل ما لديه ، حتى يفر المهان من تلك الأمور التي سببت اهانتته ، والاستخفاف به ، ويلجأ الى المصدر الذي شُنِعَ عليه وأعابه ، فيُخْرِجَ نفسه على شاكلته ، لئلا يقع في إطار تهمة وتشنيعه .

ومن هنا نرى أن بعض الأشياء نموزجية ! ١٥ ٪ من مجموع الأوروبيين يأنسون مثلاً بالتلحين الكلاسيكي ، أما الإيرانيون فكلهم يحفلون بجميع انواع التلحين ! ومن الذي يجراً ألا يأنس ، فيخالف نمودج الطبع الأفضل ، والسذوق المفضل ؟؟ وللافرنجي أن يُعْرِبَ عن رأيه

بسهولة ، ويقول : اقطع صوت الراديو ، لأي شيء ؟  
لأنه نموذج من المثل الأعلى !

إن الإيمان بالنفس ، يوفر للإنسان شيئاً واحداً هو  
« الوعي النفسي » ، هو أن يعرف في الدرجة الأولى ،  
لأي عرق وأصل يتسبب ، وبأي أمة يرتبط ، وإلى أي  
تاريخ ، وأي حضارة ، وأي فترة زمنية ، وأي أدب  
ينتمي ، وإلى أي مجد وقيم يمت !! هذه عودة إلى « الوعي  
النفسي » وفوق هذا ، إلى « الوعي الوجودي » الوعي  
الذي يجعلني أشعر بنفسي ، كموجود إنساني في ذروة  
الوهيته . وهكذا ؛ عندما أجد نفسي بتلك المظاهر ،  
أعرفها تماماً ، وأنسُ بها ، ولا أعود أتخلى عنها بأي ثمن ،  
ولا يعود ممكناً ، المساومة على جزء من لحظات وجودي ،  
وخصوصاً إن عرفتُ من « أنا » ! هذه ال « أنا » . تكون  
عظيمة بعظمة الكائنات ، إن هي اكتشفت نفسها قليلاً ،  
وبلغت « وعيها النفسي » .

### مجتمع النباهة

المسألة الثانية ، التي اسميها « ثقافة » هي الوعي  
السياسي بالمعنى الأفلاطوني للسياسة ، لا بمعناها الصحفي  
اليومي ، بل بالمعنى الأفلاطوني للبحث المنتخب  
الأختياري . أي شعور الفرد بمرحلة المصير التاريخي



والاجتماعي للمجتمع ، وعلاقته به ، وعلاقته بأبناء شعبه وأمه ، والشعور بانضمامه وارتباطه للمجتمع ، وشعوره بمسؤوليته كرائد ، وقائد في الطليعة من أجل الهداية والقيادة والتحرير . وكل هذه بمثابة مسؤولية ثانية للانسان ، حيث ثقافته في ثباته ، وتحصينه ضد الاستلاب .

### مراوغة

النباهة إذا نباهتان : « نباهة نفسية او فردية » و « نباهة اجتماعية » . وهي التي يأتي بيانها الآن . فعُدوي انا كائنسان ، وعدونا نحن كمجتمع انساني او عقائدي ، هو الذي يسلب منا الوعي الأول ، والوعي الثاني ، ولا يعرضنا عنهما إلا جهلاً وفقراً وذلاً ، وحتى ، لو عوضنا معرفة ، فهو عدو ، لأنه يعطينا معرفة فلسفية او فنية او علمية ، ويستلب منا عوضاً عنها النباهة النفسية ، والنباهة الاجتماعية أيضاً ، تلك النباهة التي اختص بها الأنبياء في التاريخ<sup>(١)</sup> ، يستلها ، أو يعمل على تضعيفها فينا ، لا

(١) ما كان الأسياء فلاسفة ، ولا فييين ، ولا أدباء ، ولا شعراء ، ولا علماء محال ، بل كانوا أميين من عوام الناس ، لكن ، لديهم نباهة ووعياً للزمان ، ومن أجل هذا شرعوا مسيراً للتدريج . وحركهم فصعوا حضارة ، وغيروا مصير جمعهم أكثر من أي حكماء ، وأحسن من أي دي فكر ، وأي عالم ، وأكثر من أي كاتب وأدب . هذه لمعرفة انسانية يمكن ان نكون نحن للنفس

فرق ، فإن علمنا ذلك ، فإن سائر القضايا تكون واضحة ، ومنفيد في تخمين ومقايضة كل الأمور التي تحيط بنا .

لم يعد العدو كالسابق ، فهو لا يأتينا بعدة حربه ، كالخوذة والسيف ، يقتل ويدبح ، ثم يعود من حيث جاء فتعرف بسرعة أنه عدو . لا ، ليس كما تظنون ، إنه يظهر من أكمام ثيابنا ، نعم يظهر من كم الثوب ، لا ، كما مضى حاملاً سوطه ، يسوقه الناس الى صناديق الاقتراع لأخذ الرأي ، لقد اختفى ذلك السوط ، وصار في دماغ العامل ، يسوقه نحو صندوق الاقتراع ! وقد سواه على النحو الذي يمكنه من أن يصوت بحرية ، لأي شاء . وإن كان من غير الواضح بعد ، كيف يختار العامل بين « غولد ووتر او جونسون » نعم ، إنه حر في تصويته ، لكن لا يريد غير هذين الاثنين ! وستكون النتيجة واحدة لأيهما شاء ان يصوت !! .

### اللعبة التوقيتية :

أقول : إنه كما تُصنَعُ الأواني اليوم من مادة المطاط ، بعد وضع مادتها الخام في جرة ، فتذوب ، ثم تُصَبُّ في

---

=الامي ، ويمكن ان يكون الاسان عالماً بالمفعول والمفعول ، ولديه العلوم الحديثة والقديمة ، لكه بعيد عن تلك المعرفة البوية الاجتماعية

حُفِرْ أُعِدَّتْ عَلَى أَشْكَالِ الْأَوَاتِي ، لِيُسْتَنْجَ مِنْهَا الْإِبْرِيْقُ  
وَالْقَدَحُ وَالْكَأْسُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ الْأَدَوَاتِ الَّتِي تُعْرَضُ فِي  
السُّوقِ لِلْبَيْعِ ؛ هَكَذَا أَخَذُوا يَصْنَعُونَ الْإِنْسَانَ ! يَصْنَعُونَ  
الْجِيلَ ! تَعَقَّدُ جُلُوسَةً مُشْتَرَكَةً لِعَالَمِ النَّفْسِ ، وَعَالَمِ  
الْاجْتِمَاعِ ، وَالْمُؤَرِّخِ ، وَعَالَمِ الْاِقْتِصَادِ ، وَخُصِيصَ التَّربِيَةِ  
وَالتَّعْلِيمِ ، يَجْلِسُ هَؤُلَاءِ مَعًا ، يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ ،  
تَمَدُّهُمُ الثَّرْوَةُ ، وَتَسَانِدُهُمُ الْقُوَّةُ ، وَيُطَلَّبُ مِنْهُمْ :

- خَطِّطُوا !

- سَمْعًا وَطَاعَةً ، لَكِنْ ؛ أَيُّ إِنْسَانٍ تَرِيدُونَ ؟ تَفْضَلُوا كَيْ  
نَعْمَلُ !

- نَرِيدُ فِي هَذَا الْمَجْتَمَعِ ، الْإِفْرِيْقِي أَوِ الْآسِيَوِي أَوِ  
الْإِمِيرَكِي الْإِلَاتِينِي ، جِيلًا غَيْرَ قَدِيمٍ ، لَا يَكُونُ أَبْلَهُ  
يُخَضِّبُ رَأْسَهُ بِالْحَنَاءِ ، لَكِنْ لَيْسَ عِنْدَنَا حَنَاءٌ لَدَيْنَا ،  
أَدَوَاتُ لِلزَّيْنَةِ ، نَرِيدُ أَنْ نُوْزِعَهَا هُنَاكَ فَلَا يَبْقَى مِنْهَا  
شَيْءٌ ، نَعَمْ ! نَرِيدُ جِيلًا لَطِيفًا ظَرِيفًا جَمِيلًا ، عَارِيًّا مِنْ  
الشُّعُورِ تَمَامًا طَبَقًا لِلْمَقَايِيسِ الْعَالِيَةِ ! نَعَمْ هَذَا الَّذِي  
نَرِيدُهُ لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ !

- سَمْعًا وَطَاعَةً ! سَيَكُونُ بَعْدَ أَرْبَعِ سِنَوَاتٍ جَاهِزًا ،  
وَنَضَعُهُ فِي تَصَرُّفِكُمْ ! وَفَجْأَةً ، وَخِلَالِ عَشْرِ سِنَوَاتٍ مِنْ  
سَنَةِ ١٩٤٥ إِلَى سَنَةِ ١٩٥٥ ، تَرَى أَنَّ مَقْدَارَ أَدَوَاتِ

الزينة الأوروبية ولوازمها قد ارتفع في طهران الى خمسمية  
(ضعف) .

- جيد ، كيف نصنع هذا الجيل ؟

- نحتاج الى جيل يرفض الشكل القديم للحياة ، وينكره ،  
ذي فكر جديد ، لكن ، بالقدر المعتاد لا أكثر . لأنه إذا  
ازداد تجدد فكره ذرة واحدة سيكون مضرراً !! والمطلوب  
ان يكون له طبع لطيف فلا يشرب اللبن ، بل  
يشرب . . . . الكوكاكولا .

الى هذا الحد فقط ، وإذا تجاوز هذا المقدار ، فإنه  
يسبب لنا المخاطر والمشاكل ، ويحملنا المبالغ الكبيرة !  
نعم ، هذا المقدار يكفي ! يكفي أن يتجدد الى حد يكون  
معه لطيفاً ، فيخلع الأزياء القديمة ، ويلقيها في سلة  
النسيان لكن ، لا يتجاوز شعوره الى حد يجعله يتدع أو  
يختار نوع أو لون أزيائه من تلقاء نفسه . وكأنهم يقولون :  
إن الأمر لا يرتبط بك ، فأنت لست انساناً حتى تختار !!  
قلنا ، إحلع ملابسك فقط لا أكثر . . . ! نعم ، يكون  
تجده الى حد اذا قلنا معه « هو » وإن قلنا « ها » رَدَدَ هو  
ايضاً « ها » « ها » ! عليه ألا يفوه بكلمة من نفسه ، هكذا  
نحتاجه نحن !! .

.. سمعاً وطاعة ، سنصنعه كما نريدون تماماً ، بلا اختلاف ! .

وَيُصْنَعُ ذَاكَ الْإِنْسَانُ ، يُصْعَ عَلَى شَكْلِ يُضْرَبُ فيه المثل ، وعلى نحو الذي يبيع الشلاجات في الاسكيمو ، يبيع التمر في حجر ، ويبيع سيارة الرينو المصنوعة من الذهب لرئيس قبيلة أفريقية ! وهكذا ، يصنعون سيارة الرينو على ظهر جمل ، ويحملونها الى رئيس قبيلة ، حيث لا توجد في أرضه جادة بطول كيلومتريين اثنين ، فتربط السيارة أمام قلعته ، نعم هكذا يصنعون !! ونحن ، لم نشعر بعد كيف صار الأمر ، حتى بلغنا بعد عشر سنوات تلك الحالة ، ولم ندرك ما خسرناه مقابل هذه التغييرات والسطورات ! وأي شيء هنا ، يمكن ان يلفت انتباهنا الى أن هذا الانسان الله ، قد بلغ من الانحطاط حداً جعله يحفل بالردائل ويأنس بها . نعم ! أي شيء يمكن ان يلفت انتباهك - ايها الانسان - الى ما ضحيته مقابل هذه الألهيات والألعونات ؟ ! واذا كانت العين والشعور والمعرفة ، وكل المحاسن والمقاييس تردنا متهم ، فنأنس باللون الذي يريدون ، ونستدوق الطعام الذي يألفون ، فمن الذي يقدر إداً أن يُشْعِرنا بالذي خسرناه ؟ والذي بقي مجهولاً مقابل تلك الأمور ؟ .

ان الوعي النفسي « النباهة » يمكن أن تُشعر الانسان بما فات منه ، هذا الانسان ، الذي تجاوز الحد في الاقتداء والاستهلاك لكل ما يقدم له ! ويمكن ايضا للوعي الاجتماعي ان يُشعره كيف تجري أمور مجتمعة في الخفاء ! نعم ! ان الدرايتين النفسية والاجتماعية هما الشيء الوحيد الذي باستطاعته ان يُنجي الانسان من هذه البلاءة المتطورة الحديثة المغرية . حقاً ، ونحن نسمي الدراية النفسية نباهة فردية ، والدراية الاجتماعية نباهة اجتماعية .

### عون الظلمة :

مهما تطور الفن - الصناعة - فإنه ليس إلا طريقاً للتعجيل في خسارة الانسان ، وفقدانه نباهته الانسانية والاجتماعية ؛ والشعب الذي يفقد هاتين النباهتين ، يصبح مهندس خير وسيلة لاستيراد البضائع الغريبة الى بلاده ، وفنه دلال ظلم يمهّد الطريق للاستعمار ، وعالمه موظف أجير بالقوة والمال ، يستمد فكره ونهجه في التحقيق من الأجنبي داخل البلاد وخارجها . وهكذا ، ترى أن أدمغة العالم الثالث ، تنقسم الى قسمين ! قسم منها يصدر الى الخارج ، ليستهلك في تلك الأجهزة العظيمة ، باذلاً نبوغه وقابليته في خدمة الأجنبي ، غير

عابء بما قد يخسر ، مقابل ألفي تومان تُضافُ على  
الراتب ! . وقسم يعود الى البلاد ، ليشكل الدعامة  
الخامسة للبلاد ، للاستهلاك الأجنبي ، وهكذا تُصبح  
مهمة الأديب والمحقق والفيلسوف استنزاف الأفكار و  
تحجيرها ، وتغيير الأذهان وتحريفها ؛ ويقوم الفسيون  
والفيزيائيون والكيميائيون بمهمة تسمينهم !!

قبل ثلاثين سنة ، لم يكن في افريقيا مهندس افريقي  
واحد ! ولذلك ، كان المتمولون الفرنسيون ، وأصحاب  
رؤوس الأموال يأتون بالمهندسين من فرنسا ، ويجرون  
لهم شهرياً خمسين ألف تومان . اما الان ، وقد شاء الله  
ان يكون بين الأفريقيين مهندسون منهم ، يصلحون  
لنفس العمل ، الذي كان منوطاً بالأجانب ، فإنهم  
يتقاضون ألفي تومان فقط !

إن الشيء الذي ينجي الانسان والأمة من شؤم  
الاستنزاف الفكري في طريقته القديمة والحديثة ، هو  
النباهة الانسانية ، التي يتحدث عنها الدين الراقى الذي  
تجاوز العلم ، والدراية الاجتماعية التي تتحدث عنها  
الرسالة العقائدية النبوية . وينبغي ان تكون هاتان  
الدرايتان مقياساً لكل انسان ، وبالأخص للعالم الثالث ،  
وفي المجتمعات الشرقية والاسلامية . وهؤلاء جميعاً

سيخسرون إذا ما نظروا للمسائل بغير هذا المقياس .  
فالمزورون اليوم ليسوا العوبة ، إنهم يصنعون في الأساس  
عيناً ونظرة ، ولذا ، فالافلات من مصائدهم ، والخروج  
من مضايقتهم ، وكشف غخطاتهم ، يستلزم للانسان ان  
يبصر . ويعلم في أي مؤامرة غريبة معقدة يدور ،  
وبعدها أي شيء يريدون فعله بهذا الحيل !! ومن يغفل  
عن هذا ، سيكون ضحية لمدية في ايديهم ، يُسرّ لظغطهم  
عليه ، ويرقص لذبحهم إياه ! إن بلاهة وحقاقة مدهشة  
للغاية ، كمثل هذه تُصيب الأحيال في العالم أجمع ، حتى  
في الغرب نفسه ايضاً ! . لكن الناس هناك ، هم غير  
تلك الأيدي والضمائر التي نقرر المصير في الشرق



الْفَصْلُ الثَّالِثُ



## الاستحمار

لا بد من مقياس للتطبيق ؛ فعينان ونظرتان ، ودراية انسانية ودراية اجتماعية . وأي دعوة أو دعاية ، أي كلام او تقدم ، أي حضارة او ثقافة وأي قدرة تكون خارجة عن اطار هاتين الدرايتين ، ليست إلا تحذيراً للأفكار ، للانصراف عن الانسانية والاستقلال والحرية . وهذا التحذير وهذا الانصراف هما تسخير للانسان كما يسخر الحممار ، ومن هنا أطلق على هذا العمل اسم « الاستحمار » .

أما الدافع لهذا الاستحمار ، فقد بلغ في زماننا درجة من القوة والشبوع ، لم يسبق لها نظير على مر التاريخ ، كان الاستحمار في الماضي وقفاً على نبوغ المستحمرين

وتجاربهـم ، أما اليوم ، فقد أصبح معزراً « بالعلم »  
« بالاذاعة والتلفزيون » ، « بالتربية والتعليم » وبجميع  
وسائل الاعلام ، بالمعارض ويعلم النفس الحديث ، بعلم  
الاجتماع ، ويعلم النفس التربوي ! صار فناً دقيقاً مجهزاً  
بالعلم ؛ ومن هنا تصعب معرفته لصعوبته ودقته .

إن أي قضية ، فلسفية كانت او علمية ، أوفنية ، وحتى  
لو كانت قضية تقدم المجتمع والحياة ، فإنها إذا كانت  
منحرفة عن « النباهة الانسانية » و « النباهة  
الاجتماعية » ، تظل دعوة كاذبة غاشمة مزورة ، عاقبتها  
الغفلة والذل والعبودية . وما الفرق بين ان يكون الانسان  
« عبداً حديثاً » او ان يكون « عبداً قديماً » ؟ وبين ان  
تكون تلك « جارية حديثة » او « جارية قديمة » ؛ لافرق  
إلا في الكلمات ، فذاك يسمى الجارية « ضعيفة » وذلك  
يسمىها « لطيفة » ، والمعنى واحد ، انها ليست بشراً .

فمعنى الاستحمار إذاً في تزييف ذهن الانسان ، ونباهته  
وشعوره ، وتغيير مسيره عن « النباهة الانسانية » و  
« النباهة الاجتماعية » . وأي دافع ، لتحريف الفرد أو  
الجماعة عن هاتين النباهتين ، أو أبعد منها ، هو دافع  
استحمار ! وإن كان من أكثر الدوافع قدسية . وما البعد

عن هاتين كذلك ، الا وقوع في العبودية ، والذهاب  
ضحية لقوة العدو ، والاستحمار المطلق .

إنه لمن سوء الحظ ، ألا ندرك ما يُراد بنا ، فنُصَرَف عما  
ينبغي ان نُفَكِّر فيه كأفراد ومجتمعات ، فيُصيب غيرنا  
الهدف ، ونحن لا نشعر ! ومن أجل هذا قلت ، إنك إذا  
لم تكن حاضراً الذهن في « الموقف » فكن اينما اردت .  
والمهم أنك لم تحضر الموقف ، فكن اينما شئت ، واقفاً  
للصلاة ، او جالساً للخمرة ، فكلاهما واحد .

ان المستعمرين قد لا يدعونك دائماً الى ما تشاء منه ،  
حتى لا يثيروا انتباهك ، فتفر منهم الى المكان الذي ينبغي  
ان تصير اليه ! بل هم يختارون دعوتك حسب حاجتهم ؛  
فيدعونك احياناً الى ما تعتقده امراً طيباً من أجل القضاء  
على حق كبير ، حق انسان او مجتمع ، وقد تدعى لتشغل  
في حق آخر ، فيقضون هم على حق محق آخر .

عندما يشب حريق في بيت ، ويدعوك أحد للصلاة ،  
والتضرع الى الله ، ينبغي عليك ان تعلم انها دعوة  
خائن ، لأن الاهتمام بغير إطفاء الحريق ، والابصراف عنه  
الى عمل آخر ، هو الاستحمار ، وان كان عملاً  
مقدساً ،

وقوفاً في الصلاة ، او انشغالاً بمطالعة أحسن الكتب العلمية والادبية ، أو مناجاة مع الله ؛ وأي شيء تشغل به في هذا المجال ، يفيد أن المسبب قد استعمرك . وإن أي جيل ينصرف عن التفكير في « الدراية الانسانية » كعقيدة واتجاه فكري ، ومسير حياتي ، وتحرك مداوم الى أي شيء حتى ولو كان مقدساً ، هو استحمار . وقد لا يدعوك الاستحمار الى القبائح والانحرافات أحياناً ، بل بالعكس ، قد يدعوك الى المحاسن ، ليصرفك عن الحقيقة التي يشعر هو بخطرها ، كيلا تفكر أنت بها ، فتنبهك الناس وهنا يغفل الانسان ، ويتجه نحو « جمال العمل » ، ولطافته غافلاً عن الشيء الذي ينبغي أن يعينه ، وهذا هو الاستحمار من طريق غير مباشر .

## من التاريخ :

اتخذ بنو العباس سياسة غريبة في تاريخ الاسلام ، فقد كان المسلمون قبل خلافتهم ، إذا أحسوا بخطر يهددهم ، أو رأوا ظلماً من الخليفة أو قرابته ، عطلوا أشغالهم ، وتركوا الاسواق ، وهرعوا الى المساجد ، يصيحون ويستغيثون ، ويدعون الخليفة للمحاكمة والعدل ! كان هذا شعور المسلمين الاجتماعي ، زمن النبي ( ص ) وفي عهد أبي

بكر وعمر وعلي ، وحتى على عهد بني أمية ! ومن الواضح ، أنه لا يمكن حكم أناس كهؤلاء بالسهل والدعة ، حيث يصعب الظلم ، والسيطرة عليهم مع هذه الجرأة والجسارة ! لقد كانوا أهل دراية اجتماعية وإنسانية !! لماذا ؟ لأنهم مسلمون ملتزمون اجتماعياً بشدة وحرص ، اذا سمعوا الأذان هرعوا الى الصلاة ، ليحاسبوا أنفسهم ، ويفكروا في مصيرهم ؛ . وحينما رأوا الخليفة عمر ، ذلك الامبراطور الذي فتح لهم مصر وايران وبلاد الروم ، يرتدي ثوباً ، من الغنائم الحربية ، وهو أطول من اثوابهم بقليل ، علت أصواتهم بالمعارضة ، وتقسيم الغنائم بالمساواة ، لقد صاحوا : لأي شيء ثوبك أطول من ثيابنا ؟ وهم لا فرق عندهم بين عمر ، أميرهم ، أمبراطور الشرق والغرب ، وبين جندي من الجنود . لقد أجبروه على المحاكمة لأول مرة ، وبدلاً من الثناء عليه ، واجلاله لفتح ايران والروم ، طالبوه بالعدالة ! انظر الى شعور تلك الأمة ، والى اهتمامهم والتزامهم بمصيرهم ، وهم يستطيعون ان يرفعوا ايران المتحضرة في العهد الساساني بأطراف أصابعهم ، ويلقون بها ايما شاؤوا ، وفعلاً قلعوها ، ولا يُعلم أين ذهبت ! ولهذا كانوا قادرين على فتح بلاد الروم كلها ، ولقد استطاعوا فتح مصر ، واخضاعها بثلاثة آلاف رجل .

أناس يغيرون مجرى التاريخ ، ويهتمون بمصيرهم بدقة وولع !! لقد أجبروا عمر على الحضور الى المسجد ، ليجيب الناس بنفسه من غير ممثل او ناطق عنه ! ومن ثم ، يأتي بابنه عبد الله شاهداً معه ، ليخاطب الناس ويقول : ان سهمي من القماش لم يكفني ثوباً لطول قامتي ، وقد أعطاني ابني عبد الله سهمه من القماش ، فاضفته لصنع ثوبي هذا ، وباستطاعتكم ان تفتشوا ، وتبعثوا وكلاء منكم ، لتحققوا كيفما شئتم ! فإن عبد الله ليس عنده من هذه الغنيمة . . . وهكذا رأوا عمر بعد التحقيق .

واضح إذ أنه لا يمكن حكم هؤلاء بسهولة . ولا بد من استنزافهم تلك « الدراية السياسية » التي يذكرها افلاطون ، وسلبهم تلك « الدراية الاجتماعية » النبوية النيرة التي ذكرتها . واذا سُلِبَتْ هذه ، لا يبقى بعدها شيء ذو خطر ، وإن شاؤوا أن يكونوا علماء أو فلاسفة ، فليس بلدي أهمية ، حيث نصفهم كأبي علي ابن سينا والنصف الآخر كالحلاج وجميعهم ليسوا سوى خدم للخليفة . وهل كان ابن سينا ، الرجل الذي طبقت شهرته الآفاق ، غير قلم كاتب « لجلالة الخاقان » ؟ واضح ، أنه لو لم يكن ذا شعور لكان أفصل ! نعم . . . هكذا يصير الانسان إذا لم يكر له هدف ، ولا يفيزه علمه ولا فنه ولا مكانته .



وماذا عن كبار علماء الفنون الجميلة ، وأهل الصنعة ؟  
تراهم يصنعون « على قابو » ويصنعون « الف لية وليلة »  
في دار الخلافة في بغداد !! طبعي أنه لو لم يكن لنا لكان  
أفضل ! إذ ، ما هي فائدة هذا الفن ، وهذا العلم ؟ !

وبعد . . يأتي زمان بني العباس ، ويتزوج جعفر  
البرمكي العباسية ، وتُعمَلُ وليمة الزفاف ، لقد طبخوا من  
الطعام ، ما أخرجَ باقية من بغداد بعد عدة أيام ، فإذا هو  
جبل من الطعام ، وبعد أن تغدت منه الطيور والحيوانات  
أياماً ، تعفن باقيه في المدينة ، وأخذ يهدد صحة الناس  
وسلامتهم ، مما اضطرهم لاستئجار جماعة لابعاده عن  
المدينة !! ولم يظهر رجل واحد من المسلمين في كل المجتمع  
الاسلامي ليقول لهم : هذا الطعام الكثير إسراف في  
الدين . . نعم ، لم يقل ذلك أحد ؛ لاعالم ولا فقيه ،  
لا شاعر ولا نبي ، لا إمام ولا مأموم . . لماذا ؟؟ لأن  
« الدراية الاجتماعية » لم تكن عندهم !

وهؤلاء الناس الذين لم يبدوا اهتماماً لذلك ، كانوا  
يجتمعون معاً ويتحدثون ، ويتسامرون ويحتفلون ، لأنهم  
اكتشفوا قاعدة نحوية للغة العربية ، او عثروا على كتاب  
في الطب والأدوية ، يريدون أن يترجموه ليحصلوا على وزنه  
ذهباً !! وهكذا ، بلغت الأبحاث الفلسفية والعلمية في

زمن بني العباس !! . غير أن هؤلاء لم يبقَ لهم شعور  
بالنسبة لمصيرهم الاجتماعي ؛ فكانت النتيجة ، أنه يوم  
دخول المعول ، واكتساحهم هذه الديار ، لم تبقَ لهم  
حضارة ولا اقتدار ، ولا علوم ، ولا دُك ؛ إلا لأن  
« الدراية الاجتماعية » كانت عديمة ، وهكذا نجد أن دافع  
الاستعمار في زمن بني العباس كان العلم والحضارة ، الفن  
والادب ، التحقيق العلمي والفني ، الأدبي واللاأدبي .

الْقَضَاءُ وَاللَّيْلُ



## انواع الاستحمار

الاستحمار نوعان : استحمار عتيق واستحمار حديث ، وهو كالاستعمار تماماً ؛ منه عتيق ، ومنه حديث . والاستحمار كما ذكرنا دافع لانحراف ، او طلسمه الذهن والهائه عن ( الدراية الانسانية ) و ( الدراية الاجتماعية ) ، واشغالة بحق او بباطل ، مقدس او غير مقدس . وهذا تعريف جامع للاستحمار .

كان الدين دافعاً قوياً للاستحمار القديم ، بينما الدافع للاستحمار الحديث هو كل تشاجر ، وتحارب ايهامي كاذب ، والوسائل التي تستخدم في هذا المجال هي :

في « الاستحمار القديم » يستفاد من الزهد ، الاخلاق ، التصوف ، الشعر ، القومية ، تعظيم الماضي

وتجليله ، الفلسفة ، الشكر ، الثواب ، الشفاعة ،  
الوصول الفردي الى الجنة ودخولها . . . وفي الاستحمار  
الحديث يُستفاد من ( التخصص ، التحقيق ، العلم ،  
القدرة ، التقدم ، الحرية الفردية ، الحرية الحسية ، حرية  
المرأة ، التقليد والتبعية ) .

## الدين الاستحماري

بعد انقضاء فترة الأنبياء العظام ، الذين بلغوا الدين  
واضحاً وصادقاً في ذروة الحقيقة ؛ وقع مصير الدين في  
أيدي قوات استحمارية ، مضادة للإنسانية ، تسمى  
بأسماء مختلفة : كالفة الروحانية ، والفة المعنوية ، والفة  
الصوفية ، وفة الرهبان ، وفة القسيسين وغيرها . .  
وهؤلاء اتخذوا الدين وسيلة لاستحمار الناس ، افراداً  
وجماعات ، وحيث أن الدين يقتني بهم ، وبالأخص  
الاسلام الحنيف الذي يشمل « الدراية الانسانية » و  
« الدراية الاجتماعية » و « الدراية الفردية » .

ويدور كلامي هنا ، حول الدين الاستحماري ، الدين  
المصل ، الدين الحاكم ، شريك المال والقوة . الدين  
الذي تتولاه فئة من الرسميين ، لديهم بطاقات للدين ،  
واحازات للاكتساب ، وفيهم علامات خاصة ، تنم عن  
احتفطهم بالدين ، وبأنهم من الدعاة .

والسؤال هنا : لأي شيء يُسخر هذا الدين الناس كالخمير ؟ بلى ، ماذا يفعل هذا الدين بالانسان فيستحمره ؟ علما ، أنه ليس باستطاعة الدين ان يسلب من الانسان « بباهته الفردية » ومسؤوليته عن مصيره ومجتمعه . لعله يقول لك : دع الدنيا ، فإن عاقبتها الموت ، وادخر كل هذه الحاجات والمشاعر والأمنيات الى الآخرة ، الى ما بعد الموت ! وليس الفاصل الزمني بكثير ، ثلاثون أو أربعون أو خمسون لا قيمة لها !! بعدها كل شيء طوع ارادتك ، وتكون من أولئك الذين هم فيها خالدون ! نعم . . انها سنوات العمر القصير ، لا قيمة لها ، دع الدنيا لأهلها ! ولا شك أنه يقصد بأهلها نفسه . . . وذلك الدين يسلب مني مسؤولياتي تجاه مجتمعي بطريقتين :

الأول : ياخذ مني امكانياتي ومواهبتي التي امتلكها ، ويحرمني منها ، ولما كان علي أن أرفض الظلم من أجل الحاجة الى العدالة ، فإن دين الاستحمار يدعوني الى السكوت عن الظلم والفقير ، والصبر ؛ ويكلمني الى « العباس »<sup>(١)</sup> ، ويزيح عني كل مسؤولية !! .

---

(١) العباس بن علي بن ابي طالب استشهد في كربلاء مع اخيه الحسن (ع)

الثاني :: حينها أرى نفسي مقصراً ، خائناً ، مسيئاً الى المجتمع ومصيره ، فأقع تحت ضغط ضميري ، وتجبرني « الدراية الاجتماعية » الى أن أُرْجِعَ حقوق الناس اليهم ، واستسمحهم فيما فرطت في جانبهم ، إلا أنك غير قادر على أن تُرْجِعَ اليهم حقوقهم ، ثم ليس هذا صواباً ! وهناك طريق أسهل . . وهو : أن تُقرأ وانت متجه الى القبلة ، هذه الكلمات ست مرات . . وبعدها ، لا يبقى عليك شيء ، وستُغْفَر ذنوبك كلها وتنال الشفاعة والعفو والرحمة !

أجل ! إن رب هذا الدين سيعفو عن جميع السيئات والقبائح والمنكرات بسهولة ، وسيمحو ذنوبك ، ولو كانت عدد رمال الوديان ، ونجوم السماوات ، بنفحة واحدة !! . وهكذا ؟ تتساءل أنت : لأي شيء أتحمل ثقل المسؤولية الاجتماعية ، إذا كان واجبي نحو الناس ، وحياتهم يلزمني أن أموت من أجلهم ، وأضحى بنفسني في سبيلهم ! لم هذا ؟ وهناك طريق أسهل ، انه « كتاب الأدعية » فهو يفتح لي أبواب الجنان ، من غير تعب ولا نصب ، ودون مشقة أو أجهاد فكر ، وبالتالي دون أي مسؤولية .

إنه الدين المستحمر ، الذي يقول لك : يكفي أن



تُدْجِلُ السرور الى قلب واحد ، او تقضي حاجة آخر ،  
حتى تمحي كل ذنوبك ، وتُبدل سيئاتك حسنات ،  
وتقضى عنك كل المسؤوليات الاجتماعية .

والخلاصة : أن الدين المستحمر ، بكل استيفاء  
حقى ، والأخذ بمن ظلمني الى ما بعد الموت ، هذا بالنسبة  
لي وأنا مظلوم ، أما عندما أكون ظالماً ، فإنه يعلمني ألا  
استرضي المظلوم ، بل ، علي أن اطلب رضا ولاة الله  
والدين !!<sup>(١)</sup> فتصبح اولئك لي ، بالنيابة عن جميع  
المظلومين ، وحتى عن الله على جواز دخولي الجنة . . . . .

ومن هنا نتبين أن دين الانحراف يدعو الطرفين ، الظالم  
والمظلوم الى الاستحمار ، ويبدّل كل القضايا الى مسائل  
ذهنية ، ويتكفل برفع كل المسؤوليات الاجتماعية عن كاهل كل  
صالح ، وغير صالح بسهولة وبمكر خاص ! لا يعرفه سوى ولاة  
الله الرسميون ، والوسائط الرسمية المدربة .

الزهد :

الزهد نوع من الاستحمار ، لأنه يأمر الانسان أن يترك  
حقوقه الاجتماعية ، وحاجاته الطبيعية جانباً ، ويقطع

---

(١) فيصادق اولئك - بالنيابة عن جميع الذين ظلمت ، وحتى نيابة عن الله - على  
جواز دخولي الجنة .

حبيل الأمل منها جميعاً ! ويُبقى الإنسان مرتبطاً بحاجات بسيطة جداً ، لا تتجاوز حاجات الحيوان . وكذلك ، يسلب الزهد من الفرد درايته النفسية ، ويمسحه حقه من التمتع كالإنسان ، بجميع المواهب ، والنعم ، التي خلقت له في الدنيا ، وليس لأحد أن يمنعه من التمتع بها . وفي النهاية ، يسبب الزهد حيلة لصاحبه للأنزواء والقناعة والاكتفاء بالقليل من الطعام ، وباحتصار يدعو الزهد الناس جميعاً لترك حقوقهم ، والتخلص من حطام الدنيا لصالح أعدائهم ، أصل الحرص والمطامع ، ولهذا نرى الزهد وسيلة لتنفيذ الظلم .

الشعر :

لاحظوا نموذجا من الشعر ، في كتاب يعود تأريخه الى سنة ٦١٨ هجرية ، وهي السنة التي دخل فيها المغول الى ايران ، وخرّبوا بلخ . وهبوا كل الشمال ، وتركوا ايران تسع في لجة من الدماء يقول فيه كاتبه : « انا عارب و فار . نحن لکننا في حالة هرب ، لأن المغول حاروا الينا . . . احم انون ، وها نحن نمر طلباً لمنجاة » . في تلك الظروف ، وفي تلك الحال ، كان المؤلف ينظم الشعر ا قیاری کم برتفع الصلف ، والى أي حد يصل الاطمئنان ! وشاعرنا ينظم قصيدة من مائة بيت ، يرتب الكلمات والعبارات على سهج ، تقرأها فيه فإذا هي قصيدة

في مدح الخاقان ، وإذا قرأتها على نحو آخر ، تصبح غزلاً . . .  
وهذا النوع من النظم . يسمى « صنعة المطير » ، مأخوذ من  
الطير .

وقد تقرأ القصيدة على شكل الشجرة ، كأن توضع  
الكلمات مكان الأغصان والأوراق والأثمار ، فيكون  
الشعر من نوع الرباعي في وصف مولى ، ويقال لهذه  
الصنعة صنعة التشجير ، مأخوذة من الشجرة . ثم إذا  
قُرأت بعد بترتيب كلماتها على شكل بقرة أو حمار تكون  
مدحاً للهاقان ! فأحسبوا معي ، الى كم من الزمان يحتاج  
الانسان ، لِيُدْخَلَ سبع او ثمان قصائد غزلية ،  
ورباعيات ، بعضها ببعض ، ليخرج للناس صنایع  
مختلفة ! لا شك ، أنه أمر يحتاج الى مزيد من الفطنة  
والدهاء ، ليكون الشاعر قادراً على نظم قصيدة ، تقع  
الكلمة الثانية من البيت الأول فيها ، موقع الكلمة الثانية  
والعشرين في منظومة غزلية ، وتقع الكلمة الحادية عشرة  
من المصراع السابع في بداية شعر رباعي ، والكلمة ،  
الثالثة من المصراع السابع في بداية شعر خماسي ( هذا الى  
جانب الوزن الخاص ، والمضمون الخاص لكل نوع من  
تلك المطومات ! ) . لا بأس إذاً ، لكن ما الفائدة من هذا  
العمل ؟ فبينما كان جنكيز خان يجول البلاد طولاً وعرضاً ،  
ينهب ويحرق ويقتل ، يفر هذا الشاعر على وجهه طالباً

النحاة ، ويقوم بعمله هذا في حالة قراره ؛ فانظروا معي كيف يُنسخُ الانسان ، ألا يكون ضحية الاستحمار .

وفي طهران ايضاً ؛ كان هناك شاعر فصيح ، ينظم باللغة العربية ؛ إلا أنه ليست لديه القدرة على نظم الشعر القومي والحماسي واستخدام الصنائع البديعية . وكان في الوقت نفسه ، رئيس مكتب الاسناد والزواج والطلاق ، وعندما حاول ان ينظم شعراً في موضوع ما ، لم يوفق ، فعمد الى جمع كل المطالب الخطيبة التي وزعتها دائرة تسجيل الاسناد العامة على مكاتبها الرسمية من سنة ١٣٢٠ و ١٣٢٧ ، أي في الفترة التي كانت ايران ، تعاني فيها الضغط من احتلال أربعة جيوش أجنبية !! إن هذا مصاب بداء الشعر ! انظروا الى الفترة الزمنية بين سنتي ١٣٢٠ و ١٣٢٧ ، تجددوا مصير ايران ، وحكمها ، ووجودها ، وحروبها الداخلية والخارجية ، والأطراف المتنازعة فيها ؛ من أهم الأحداث ، بينما يمضي هذا الأديب ليُخرج لمجتمعه ، ذلك العمل الفني الرائع ! انه الاستحمار بواسطة الشعر ! .

القومية :

كان الألماني البائس ، زمن هيتلر ، يعرض على « صدويجة » ويقول بزهو وغرور : أنا عازم على الحرب !

ولو سأله : لأي سبب تحارب ؟؟ لأجاب : هناك في اميركا ، خمسة ملايين من العرق الجرمانى ، أريد أن أرجعهم الى المانيا ، كي لا يتلوث أصلهم ، فيتمزج بسائر القوميات ! .

حقاً : ما أسخفه ؛ إنه يموت جوعاً وبؤساً وفاقة ، ولا يشعر بذلك ، بل ، لا يدرك مدى تأثير الدعاية المزيفة عليه ، انه يريد اخراج خمسة ملايين نسمة من الأصل الجرمانى ، اخراجهم من اميركا ، والعودة بهم الى المانيا ، كيلا يختلطوا بالعروق الأخرى ، فيتلوثون ، لا عمل له غير هذا ، لقد تمركز الاستحمار في قلبه ! .

الفخر بالماضي والاعتزاز به :

كان ايراني ومصري يتحدثان ، ويفخران بماضيها ، ( المصري يعتز ويفتخر بالأهرام ، وقبور الفراعنة ، حيث يخرجون جثماناً دُفِن قبل خمسة آلاف سنة ، ويأتون به الى الساحة « نموذجاً » ، ولم يدركوا أن هذا المرحوم ، كان في حياته ، ابن جرثومة قذرة ، فكيف تكون ميته نموذجاً ؟ ) . خاطب المصري زميله الايراني<sup>(١)</sup> قائلاً :

---

(١) بأي شيء يموهون على الانسان ، يعدمون المفاخر الموحدة به ، ويسلبونه القدرات الحالية ، ولا يعتنون بها ، ثم يعحرون ! وهذا الشاعر الموسوم بالعراقي ، الفاسق المحرف أخلاقياً ، يتحول في البلاد ، وكلها دخل بلد =

قيل إنه عثر في أهرامنا على بكرة وأسلاك وخيوط ،  
 فاتضح بعدها أنه كانت لدينا انذاك ، أجهزة مخبرات  
 سلكية !! فَرَدُّ عليه زميله الإيراني : نحن في ايران ، كلما  
 تحققنا وفتشنا في آثار ( تحت جمشيد ) لا نعثر على أثر بكرة  
 أو أسلاك أو خيوط ، ومن هنا يتضح أنه كانت لدينا  
 انذاك ، أجهزة مخبرات لاسلكية !... نحن نفرح بهذه  
 الأشياء ، ونفتخر بقضايانا القومية البائدة ! بينما لدينا آلاف  
 النوابع ، والأسانيد التاريخية والعلمية في الحضارة  
 الاسلامية ، نحن نعرفها ، والعالم كله يعرفها ، وهي  
 شواهد على قابليات الفرد الإيراني . لكن ، الاعتزاز  
 بالماضي ، واللجوء الى القضاء والقدر والشفاعة والثواب ،

---

= أسد فيه ، وإذا طلبه هرب لي ملجأ آخر ، وأسد فيه ايضاً ، إن هذا دأبه  
 لكن ، انظروا الآن ، ما يعمل له من تجليل وتعظيم وتكريم ! فكل سنة  
 يطع دهبانه مرة ، وشعره ، يقرأ كل ليلة من الأداعة والتلفزيون ، وتعطى  
 لشعره وأدبه لألوية في التحقيق ، بينما لدينا قابليات شعرية وأدبية حية  
 وموحودة ، من دون أن يعتنى بها أو بشجع أصحابها ، في الوقت التي هي  
 ائمن وأرقى من السواحي الأدبية والاسانية مما قاله ذلك المنهور . لكنها  
 ضائعة ! وقد تقى مهجورة ، قتل ولا تسمح الظروف المالية وغير المالية  
 سطعها ، ويبقى أهل تلك القابليات ، يحطون بأقلامهم ليلاً نهاراً لسد  
 جوعهم ، وحوق من يعولون به ، وقد يتحول أحدهم الى حارس بوابة او  
 محاسب شركة ، لماذا ؟ لأن قيمة الأشياء وأثامها ، نعلو وترقى بالسوسة  
 لقدمها !! .

والشكر والتشويش النفسي ، وعقدة الذب ، والفوز  
الفردى بالجنة ، من أدوات الاستعمار القديم . كلها نحث  
الانسان على متابعة أعماله بنفسه ، منقطعاً عن الناس ،  
باحثاً في كتب الأدعية عن طريقه الفردى الى الجنة ! إن  
هذا أكبر استحمار ، وأكبر مصيبة تصيب المجتمعات  
الدينية أن تقع في الاستحمار عن طريق الأديان المحرفة .

### الشكر :

ولا أعني الشكر الذي يُوصى به الدين الصادق ، دين  
المعرفة ، الذي هو عبارة عن دراية الانسان ، ووقوفه على  
قيمه ، ومعرفته بالنعم والمواهب الموجودة عنده ، اقصد  
الشكر الذي تقول به فلسفة الدين المزيفة ، أي الشكر  
على التعاسة والنخاسة ، الشكر الذي هو فلسفة العجز  
والفاقة ! . كان يقول ! « إنه كشكر ذلك الرجل الذي كان  
يقول : « الحمد لله الذى لم يجعل آذاننا تحت آباطنا » .  
حقاً ، إن هذا لبائس تعيس ، لأنه لم يجد نعمة غير هذه  
يحمد الله عليها ، فهو يفتش عن أي شيء يشكر الله  
عليه ، وماذا لو كانت آذاننا تحت آباطنا ؟ كما سنجبر على  
رفع الآباط كلما تكلم أحدنا لنسمع ما يقول !! وستكون  
الكيفية مضحكة جداً . . . أما الآن ، فنسمع دون ان  
نحرك ساكناً ، إذا . . . لك الشكر يا الله !! .

ومثل هذا ، من أن أحدهم كان يأكل « تريدأ » ويشكر الله ! فسمعه واحد ، فقال له : ألا تحجل ؟ على أي شيء تشكر الله ؟ ! . وذكرونا بالمناسبة ؛ أن « مقدساً » من الأشراف ، كان يرقى المنبر أيام شهر رمضان رجاءً للثواب ، وكان يشكر الله مرة كل يوم كجزء من ثلاثين شكراً ، حيث كان يكتشف كل يوم نعمة جديدة . وإذا سأله العوام يوماً علام تشكر الله ؟ يجيب ، أنه غداً يوم القيامة ، إذا جاءت ملائكة العذاب ، وسألتكم ، لم أذنبتم ، وقد أعطاكم الله عقلاً وشعوراً وقوة وفطنة وقابلية ؟ وحيث انتم عوام ، لا تعرفون كيف تحييون ، عليكم أن تشكروا الله لخلقه أناساً مثلنا !! .

وغداً ، يعود هذا القديس ، فيصعد المنبر ، ويضع الناس بشكر الله ، وعندما يسألونه ؛ يجيب : ليتصور أحدكم أنه جالس في ليلة من ليالي الصيف على سطح داره ، وقد وضع أمامه كأساً فيه سكنجبين<sup>(١)</sup> ، وأضاف إليه خياراً ، ومقداراً من حب القنب ، ثم قطعاً من الثلج ؛ فصار الجميع كالبرد ، ثم يضع ذلك الكأس عند رأسه وينام . وفي منتصف الليل ، يمر جبرائيل من

(١) نوع من الشراب مصنوع من السكر



السماء . ويرى الكأس ، فلو كان مخلوقاً على النحو الذي  
يمكنه أن . . . . . لفاجأت كأسك وقد . . . . .  
جبرائيل . وبعدها ، ماذا كنت تعمل ؟ أما أن ؛ وقد  
خلق العلي الأعلى جبرائيل على نحو لا يمكنه أن . . .  
إذاً ، اشكروا الله بصوت عالٍ . . . هذه فلسفة حياتنا !!  
وإننا وإن حسبناها سخرية إلا أنها فلسفة حياتنا .

ثم . . انظروا الى عامة شعنا ، كيف اقتنعوا  
ورضوا . . ثم الى ولئك المقدسين المتدينين ، الى أي حد  
هم أقنع وأرضى ! انهم راضون بنسبة يؤسهم  
وتعاستهم ، انه الشكر الاستعماري ، المعاكس للشكر على  
« معرفة النعم » تماماً . ولو وافقناهم على هذا الجهل ،  
وهذه الغفلة عن « النعم » ، التي سلبت منهم ، وهم  
يكررون الشكر لله ، لوصانا الى اسوأ من هذه الحال ! .

انظر دائماً لمن هو دونك ! لو كان هذا صحيحاً ، لما  
كانت هناك حاجة للتقدم ، ولو اقتصر الأمر ، على أن  
ننظر نحن الى أفغانستان ، فنقع ، وينظر الأفغانيون الى  
اليمن فيقنعون ، وينظر اليمنيون الى موزمبيق فيقنعون ، لما  
كانت هناك حاجة للتحرك ايضاً ، بل لأي شيء نتحرك ؟  
ان هذا النوع من الشكر هو فلسفة الرجعية وهما لذي  
سؤال ، وهو هل أن المتجددون مصابون باستحمار فلسفة

الشكر الحمقاء ، لكن بصورة جديدة ومحترمة وهل هم  
كاولئك في البلاء ، راضون شاكرون بما لديهم ؟ لكن لو  
نظرتم الى رضاهم من أجل أي شيء وأي قضايا ؟ لعلمتم  
أنه نفس شكرهم الأحق السخيف !! .

الْقَصْدُ الْخَالِصُ



## أشكال الاستحمار

للاستحمار شكلان : مباشر وغير مباشر . فالمباشر منه ، عبارة عن تحريك الأذهان الى الجهل والغفلة ، أو سوقها الى الضلال والانحراف . أما غير المباشر ، فهو عبارة عن الهاء الأذهان بالحقوق الجزئية ، البسيطة اللافورية ، لتشتغل عن المطالبة او التفكير بالحقوق الأساسية والحياتية الكبيرة والفورية . فمثلاً ، لنفرض اني أنا قيم على صغير ، وأريد أن أهيه ، فأختلس ممتلكاته ، وأنقلها بأسمي ، دون ان يعلم ! فقصدي إذاً أن أختار له أداة استحمار من نوعه . وكل أداة تلهيه عن تلك الخطوة التي أعدهتها له ، كي انقذ إرادتي ، دون أن يشعر بقصدي ، هي استحمار ، والنتيجة أن أداة استحمار أي فرد ترتبط بنوعه .

وإذا ما رأته جيلاً ، ذا قامة متناسبة ، فأشجعه على الرياضة ، ذاكراً له محاسنها ومنافعها ، فيسير في وادٍ من الخيالات والأمنيات ، كالمباريات ، والألعاب الأولمبية ، حيث الشهرة وما شابه . وإذا رأته من غير هذا النوع ، بل من طراز أولئك المثقفين والمتجددين ، فأشجعه على الدراسة والاستمرار بها ، حتى الحصول على الشهادات العالية ، وبعدها أعود فأذكر له فوائد العلم ، وأن طلب العلم فريضة . . وأعمل حتى أساعده على السفر الى أميركا لاتمام دراسته ، واتكفل بتأمين ثلاثة أو أربعة آلاف تومان له شهرياً ؛ وهو في أميركا ، وإذا اقتضى الأمر ، إرسال أكثر ، وهكذا أفى بكل ما وعدته به ! لكن هذا كله ليس سوى أداة مرحلية لاختلاس ثروته وميراثه .

وإن كان غير صالح للرياضة أو للدراسة ، بل هو من نوع أولئك العاطفين ، يهوى العزلة والخيالات و . . . فأشجعه على الصوم والصلاة والأدعية والزيارات ، وابذل له كل ما يريد من أجل نذر وزيارة وجنة وآخرة . وما ذلك إلا لكي أهيبه ، وأقضي حاجتي معه . وهنا نرى ، أن الدين والرياضة والفن والدراسة والعلم والخير والشر وما شاكلها أدوات استحمار ، لأنها تؤدي للإلهاء والإنشغال عن الحق الفوري . فأداة الاستحمار إذاً ، تُنتخب حسب

نوع الفرد ، الذي يراد استعمار ، وبعدها ، يحرك المستعمرون الفرد نحو ميوله !! . وأخيراً ، يصح عندنا جماعة تشغل بالأدعية ، وأخرى تعمل بالرياضة ، وفريق منشغل بالفن ، وآخر بالعلم ، وبعضهم بالتحقيق ، وبعضهم الآخر بالزهد ، وكل بما لديهم فرحون . فكل شيء إذا ، يشغلني « انا » كإنسان ، « ونحن » كمجتمع ، عن الدراية الانسانية والدراية الاجتماعية هو أداة استعمار .

### المعركة الإيهامية

الحرب الإيهامية ، هي إحدى أدوات الاستعمار ، والإلهاء عن الدرايتين المذكورتين . ولقد ذكر عمي الساكن في قرية « مزنيان » أن سيداً من هذه القرية ، عامله معاملة مضحكة ، حيث أن عمي كان يحب « الديوك » كثيراً ، وذات يوم ؛ أتى إليه ذلك السيد وقال له :

- في « يهن آباد » ، بالقرب من قريتنا ، تُباع الديوك رخيصة جداً !!

- بكم الواحد مثلاً ؟

- انها ديوك جميلة ، سالمة وغير اميركية ؛ والواحد منها بخمسة توامين !

- لا ! كيف يمكن هذا ؟ ( ينكر عمي ) ، يباع الديك  
هنا بعشرة توأمين ؛ وعلى مسافة كيلومتر واحد من  
هنا ، يباع بخمسة ! لا . . لا يمكن هذا !!!  
- لا يا مولاي ! إنه ممكن ، أعطني الثمن لآتيك بالديوك !  
- خذ . . هذه خمسون تومانا ، فآتي بعشرة !

يمضي السيد ، وبعد ساعتين ، يعود بعشرة ديوك  
كبار ، سمان ، الواحد منها بخمسة توأمين فقط ! فيسأله  
عمي

- ألا تريد نقوداً بعد ؟!

- لا . . . يا مولاي ، وإذا كنتم محتاجين لمزيد من  
الديوك ، فإني آتيكم بها !

ومر شهران ، ويأتي أحد أصدقاء عمي لزيارته من  
( بهمن آباد ) ، فيجلسان ويتحدثان ، حيث يقول  
الضيف :

- ألا تريد نقوداً ؟!

- لا . . . يا مولاي ، وإذا كنتم محتاجين لمزيد من الديوك ،  
فإني آتيكم بها !

- ان والدك كيك قد وضعت البيض تحت الدجاجة ليكون  
فراخاً ، نذرت كل ديك يظهر منها لك !!



وبعد مدة ، ظهر ستة عشر فروجاً ، أو سبعة عشر ، مات منها أربعة أو خمسة ، وظل الباقي وكله ديكه ، ولقد أرسلناها لكم بعد تمام ستة أشهر . فكيف كانت الفراريج ؟  
- أي فراريج ؟

- الفراريج التي بعثناها لكم مع السيد !!  
- السيد . . أي سيد ؟ انه ابتاع الواحد بخمسة توامين ، واستلم الثمن !

- خمسة توامين . . ماذا تقول ؟ قيمة الديك الواحد في ( بهمن آباد ) خمسة عشر تومانا ! إنه أغلى من هنا !!  
- لقد سألت السيد ، عن ثمن الديك في ( بهمن آباد ) فقال : خمسة توامين ، ولذا أعطيته خمسين تومانا ، وجاءني بعشرة فراريج !

- لا . . يا مولاي . انه نذر . ما هذا ؟ خمسون تومانا !!  
( يقول عمي ) ، علمت بعدها أن السيد كان في ( بهمن آباد ) ، وكان صديقنا الضيف قد طلب منه ، متى عزم على الذهاب الى « مزيان » ان يأخذ لي معه الديكة . وعلى هذا ، اتفق معه السيد ، لكنه جاء الى « مزيان » وقبض خمسين تومانا حتى عاد بالديكة المذكورة !!  
ويتابع عمي ، أنه بينما كنت وضيفي نتحدث عن الديكة ، حتى فاجأنا بصوت عال :

مولانا ! لأي شيء انتما جالسان ؟ وقد أريقتم الدماء  
خلف داركم ، فقتل اثنان ، ومضى ثلاثة ، وهلك  
آخر . . . وأكلت النيران بيت فلان . . . !

-- خرجنا بسرعة ودهشة ، نتحقق الخبر ، فلم نجد  
أحداً ، خارج الدار ، ولا في السوق ، إلا رجلين يدخنان  
« الغليون » بلا هم ولا غم ! سألتاهما : « ما الخبر ؟ ما  
الذي وقع ؟ اين محل الحادث ؟ فأجابا ! لم يحدث شيء !  
عدنا بعدها الى الدار ، فلم نجد السيد ! لقد أخرج نفسه  
من تلك الورطة بتلك المعركة الإيهامية ، كيلا يقع في  
المحذور .

ايهام ! ايهام !

معركة ! مولاي معركة !! يريد أن يُضَيِّع علينا قضية  
الديكة ، فيقول : معركة ! سالت الدماء على  
الأرض . . . يريد أن يمحو قضية الديكة ، وحتى تبقى  
القضية مجهولة ، يخلق حرباً إيهامية ، يقيم قضية  
« فرعية » الى جانب القضية « الأصلية » فتتشغل الأذهان  
بها مدة مديدة . . . !! ومن هذا القليل ! معركة الشعر  
القديم مع الشعر الحديث ، والعباءة مع « الميني جوب » ،  
والخط الفارسي مع الخط اللاتيني ، والمتأخر مع المتجدد ،

هذه كلها معارك ايهامية فارغة ، كمعركة القتل والدم  
والنار من أجل ان تبقى قضية الديكة مستورة .

إنه في الفترة الممتدة بين ١٣٢٠ و ١٣٣٠ ، أختلقت من  
ثمانية عشرة الى عشرين معركة في ايران ، من اجل أن لا  
تُعرض قضية شركة النفط على الأفكار والأذهان !! وفي  
القرن التاسع عشر الميلادي ، عندما بلغت نشاطات  
الاستعمار ذروتها ، ظهر سبعة عشر نبياً ، في فترة لا تزيد  
على ثلاث عشرة سنة من الصين الى بو شهر في ايران . وما  
ذلك ، وبينما كان ابناء شعبنا ، وأبناء الأمة الاسلامية ،  
يتجرعون الموت من ظلم الاستعمار وضغوطه ، قُتِلَ آلاف  
الفلاحين الايرانيين في اختلاف عقائدي مداره : هل ان  
الامام موجود في عالم المادة ، أم هو من عالم الروح ؟  
والغريب ؛ أنه اثناء ذلك الصراع ، ظهر مدع ينفي وجود  
الامام على الوجهين المذكورين ، ويقول إنه موجود في عالم  
سماوي بين اللاهوت والناسوت ؛ بين العالم العلوي  
والعالم السفلي . ان آلاف الفلاحين قد قتلوا من أجل تلك  
العقيدة وآلاف من المدنيين البائسين ثاروا ضد مؤيدي هذه  
العقيدة فقتلوا .

فمن هما طرفا القتال في حرب « العالم السماوي » اثناء  
القرن التاسع عشر ؟ ان طرفا القتال هما : القروي

والمدني ، مؤيدو عقيدة « العالم السماوي » ومخالفوهم !  
 لأي شيء ؟ لنفي او اثبات العالم السماوي ! متى ؟ في  
 زمن كانت اوروبا تشهد فيه حرباً رأسمالية ، حرباً  
 انتاجية ، ومن هنا جاؤوا ليشعلوا نار حرب « العالم  
 السماوي » . وما هي تلك الحرب ؟ انها الاستعمار !!  
 وكم من حرب باطلة ، بلا معنى ، تقع بيننا في هذا  
 الزمان ، فيتضح عبثها بعد انتصار أحد طرفي النزاع ! وما  
 كل الهتافات والانفعالات التي يتخذها فريق ضد آخر ،  
 يتخذها الأب ضد ابنه ، والبنات ضد أمها ، والفتى ضد  
 الفتاة ، يتخذها الحديث ضد القديم ، والمتجدد ضد  
 المتأخر ، إلا معارك تمويهية ايهامية ! كتلك المعركة التي  
 قامت من أجل الديكة ، وعند التحقيق والتفتيش ، لا  
 شيء في النتيجة ، والمعركة تنتهي لصالح الذي أشعل نار  
 الحرب . . . وبضياع الفرصة ، وهلاك جيل ويأسه ،  
 وحرمانه من ثمرة جهوده وكفاحه ، يأتي جيل آخر ليووجه  
 معركة تمويهية أخرى .

حينما يقع اصطدام في مجتمع ما ، ينبغي ان يُنظر اليه ،  
 من زاوية ارتباطه « بالدراية الانسانية » و « الدراية  
 الاجتماعية » ، وكم من مسائل فكرية فقهية ، دينية وغير  
 دينية ، فلسفية وعلمية ، تُفرض الآن على الافكار

والأذهان بشكل كاذب ومنحرف !! وكم من محاورات  
ونزاعات ، أُجريت حول بعض الكلمات العربية الداخلة  
على اللغة الفارسية ! لقد أصرروا على حذف الكلمات العربية  
من جذورها من اللغة الفارسية ! حسناً ... حذفوها ! ثم  
ماذا بعد ذلك ؟ لا شيء غير الجدل والنزاع مرة أخرى  
على حذف الكلمات ، ثم المعجز عن الكلام الصحيح ،  
والتصنع بالكم والخرس ! انهم يقولون : لقد تحملنا  
متاعب جمّة ، الى يومنا هذا ، حتى بنينا لغة فارسية بليغة ،  
وينبغي الآن أن ننقيها حسناً تفعلون ، لكن ماذا بعد؟ سفاهة  
وتفاهة ، والقضية شيء آخر !! القضية الحقيقية شيء  
آخر ، والحرب الحقيقية حرب أخرى ! لكن هناك اصواتاً  
نعلو ونقول ! ايها الناس : ان الفاقة والبؤس هما سبب  
الجهل ، وعلة العلل في خطنا ، في خطنا فلنبذله إلى الحروف  
اللاتينية ! لقد غيّرت تركيا خطها الى اللاتينية قبل اربعين  
عاماً ، وما زالت متأخرة ، بينما تمكنت الصين واليابان في  
خمس عشرة سنة ان تحيا الامية من بلادهما ، وأن تصبحا في  
عداد البلدان الراقية المتقدمة ، مع بقاء الخط فيهما قديماً .  
وحيث هو فنٌ بحد ذاته ، كما أن الذين يحسنون قراءة  
الخط وكتابته يُعدون من علماء تلك البلاد . فأين اثم يا  
بشر ؟ اين تجلسون ؟ هذه كلها حروب استعمارية ، انها  
معركة الديكة لتمويه الحقيقة .



الْفَيْضُ السَّادِسُ





## التخصص

كل واحد يسير في نهجه وتخصصه على نحو يغفل معه عن قضية المجتمع ومصيره . انه كبقرة افلاطون تماماً ، عندما يلمس واحد حافرها ، وآخر قرنها ، وثالث ذنبها ، والنتيجة لا احد يشعر بوجود حيوان ! وهكذا التخصص ؛ بسبب انغماس الانسان في إطار محدود وصغير جداً ، مجرداً عن المجتمع ، بصورة يصعب معها لمس كجسم واحد شامل . وعلى هذا ؛ فالتخصص يعدم الدراية الاجتماعية ، كما يسلب الفرد امكان شعوره بنفسه ، كإنسان مساهم في شتى وجوه الحياة . والسبب في ذلك ، كون التخصص يعمل على نحو الفرد من جهة واحدة ، ويعطله من سائر الجهات . والسؤال هنا : هل التخصص

أمر لازم ؟ نعم . . انه أمر لازم ، ولا ينبغي ان نعدمه ،  
لكنه ، علينا في الوقت الذي نتخصص فيه في فروع  
مختلفة ، ان نحفظ « كليتنا الانسانية » و « كليتنا  
الاجتماعية » .

## العلم :

ان الوقوف على حقائق عالم الطبيعة ، والاطلاع على  
مظاهر الدنيا ، من مهمة العلم الذي يؤثر فينا على نحو  
كاذب ، يبقى معه في عطش الى المعرفة ! حيث يظن  
« العالم » أنه ذو نباهة بالنسبة لنفسه ومجتمعه وزمانه .  
هذا ، وهم لانه « عالم » لا غير ! والعلم من أجل العلم  
اداة انحراف ، وضلال عن النباهة الانسانية والنباهة  
الاجتماعية . ولقد صدق « هايدكر » اكبر فلاسفة  
عصرنا ، واستاذ سارتر ، عندما قال : انما العلم والحضارة  
ثمرة ظروف متراكمة ، عديدة ، اصبح الانسان فيها  
غريباً عن نفسه ! أي أنه راح ضحية للتحقيق والعلم  
والفن والحضارة .

فنحن عندما نشغل بمطالعة كتاب ، او كشف او  
اختراع ، فإننا نكون غريبين عن انفسنا ( أي نعدم النباهة  
النفسية ) فلا نشعر ، حيث تقع آلة بيد العمل ، ومن  
أجله . وقد حصلت الحضارة والصناعة والعلم من مجموع

تلك الحالات . ان حصولها كان في حالة ابتعاد الانسان عن نفسه ، وعن التأمل فيها ، والاستغراق في شيء آخر ؛ لأن عمل الانسان كآلة ينتج عنه شيء آخر ، وفي مثل هذه اللحظات ، ظهرت الصنعة والحضارة . ومن هنا ، يضر العلم بالنباهة الانسانية والنباهة الاجتماعية .

### القدرة المادية البدنية :

وهذه القدرة أيضا مصيبة كبرى ، بدنية كانت أم فنية أم اقتصادية ، فعندما تتجمع لديّ مثلاً ثروة كبيرة ، وتتوفر لي امكانيات كثيرة ، قد أتوهم ان المؤفر لتلك الامكانيات هو « انا » ، و « انا » الذي امتلكها ! وهذا انحراف عن النفس ؛ لأنني جعلت المادة والثروة مكانه « نفسي » ، ونفيت شخصيتي الواقعية ، أو أني ، اتخذت المقام الذي وفرته لي القدرة بدلاً من نفسي ، أو حسبت تلك القدرة شيئاً من قدرتي الانسانية . فخسرت بذلك « النباهة الشخصية » .

لكن حقيقة الأمر غير ذلك ! فقد تكون لبعض الناس قوة جسمية ، كقوة الفيل او الجمل ؛ بينما ليس لهم من النباهة النفسية حتى قوة العصفور ! وهنا أيضاً تضر القدرة الجسمية بالوعي والنباهة ! ولقد قيل ! « العقل السليم في الجسم السليم » نعم ، هكذا ، لكن الجسم السليم ، غير

الجسم « القوي » وغير الجسم « اللامتناسب » ولقد كان بعضهم يقول :

حتى لو بدُنت ، فإنك لن تكون أضخم من البقرة ؛  
ولو فرضنا ذلك ، فعندئذ يحملونك ! وإذا ، ازدادت قوة  
ايضاً ، فلن تكون أقوى من الحمار ، ولو فرضنا ذلك ،  
فحينئذ يحملونك أسفاراً ! وإن ازدادت سرعة في السير  
والركض ، فإنك لن تكون أسرع من الفرس ، ولو فرضنا  
ذلك ايضاً ؛ فساعتئذ يركبونك ! فالإنسان « الواعي »  
باستطاعته أن يكون قوياً ، لكن الى حد يسيطر معه على  
مصيره . ومن هو ذاك الإنسان ؟ إنه بالتأكيد ليس نابليون  
القوي ، الذي يعبر عن نفسه ؛ وهو في « جزيرة سنت  
هلن » ! قائلاً : كأني خشبة صغيرة ضعيفة تلعب بها  
الأمواج كيف شاءت . . . صحيح ، ان الله لا يغير ما  
بقوم ، حتى يغيروا ما بانفسهم ، لكن ؛ إذا غير الإنسان  
ذاته وطبيعته ، يصبح قادراً على تغيير مصيره ومصير  
تاريخه ، ولا يرتبط ذلك بالجسم والمال والمقام ، بل  
بانسانية الفرد ، التي تبقى له فقط . . .

التجدد او الحضارة الاستهلاكية :

يمكن ان تكون الحضارة والتقدم من دوافع  
الاستحمار . . وفي المملكة السعودية مثلاً ، نماذج كثيرة

من هذا التقدم الاستحماري . فالبدوي البائس هناك ، سائق سيارة « الكاديلاك » التي تساوي ٢٢٠٠٠ تومانا بينما هي في اميركا ب ٣٠٠٠ تومانا ! هذا البدوي ، يقود سيارته في بلد لا تُفرض فيه غرامة على المتخلفين في قيادة السيارات ، وليس عندهم نظام موضوع للسير وللسائقين ؛ لأنه حسب رأيهم « مذموم » شرعاً . ولا يخلو من إشكال . وهناك ؛ يحمل الشرطة أعمدة من الحديد ، يضربون بها على غلاف السيارات المتخلفة بدلاً من تغريمها . ومعلوم عندها ؛ أن السيارة التي تتصدع في مكان أو مكانين ، تُستهلك وتنهار قبل أوانها ، ثم أنه ليس عندهم « مصلح » لصفائح السيارات . وخلاصة الأمر ، ان السيارة تصبح بعد سنة او سنتين غير صالحة للاستفادة ، وكل ذلك للصدمات التي أصابتها بدلاً من الغرامة المذمومة شرعاً !! والنتيجة . . لصالح من ؟ . . يجلس ذلك السائق البدوي ، برجليه المشققتين ، خلف مقود سيارة « الكاديلاك » او « الشفر » ، يزهو ويفخر الى حد ، لا يجراً عليه الاميركي نفسه ! غير أنه جاهل مدى خسارته ، ووقوعه في مكر عدوه<sup>(١)</sup> ، ناسياً قبل سنة أنه كان يرعى

---

(١) كحكاية الجنرال « اكيوم » تماماً ؛ فإنه سافر مع والده الى افريقيا في بداية صغ الزجاج الملون ، واخذاً معها شيئاً من ذلك الزجاج ، فكانا يعرضانه في حفلات رواج رؤساء القائل فيندهشون من رؤيته ! ويعجبون به ، فيأمرون «

الإبل في البادية ، وانه تعلم الآن قيادة السيارات !! . ان هذا الفخر ليس سوى « الحضارة الاستهلاكية » ، ويجدر أن اقول : أن هذه الحضارة هي اسوأ واقبح من الوحشة والهمجية ! نعم . . ان الذي يتخضر في الاستهلاك فقط هو دون الوحشي ! لأن الوحشي ، لا يُعَدُّ الأمل في تحضيره من طريق الانتاج ، لكن المستهلك من غير انتاج ، يعدم الأمل به طبيعياً . لقد كان لهذا السائق السعودي سبعة جمال او عشرة في البادية ، فباعها ليفي بالقسط الأول من الذين الذي ركب من شراء سيارة « الكاديلاك » الاميركية . فتأملوا كيف تخرج الثروة من تلك البلاد الفقيرة ، التي رأسمالها وكل ما فيها تلك الإبل ! ثم راح هذا البدوي يكدح ويتعب ليسد الأقساط الباقية ! لكن ، ماذا بقي عنده الآن ؟ قطعة حديد كانت سيارة لبضعة أيام ، اما اليوم ، فهي صفائح ممزقة تجنباً من أخذ الغرامة !

باع الجمال ، وجلس عدة أيام في « الكاديلاك » بدلاً من ركوب الجمل ، تهبط السيارة ، فيفتح الراديو ، ثم

---

« باعطانها قطعاً من أجود انواع الفهم . وهم فرحون بما حصل لهم من سعادة وتوفيق ( فانظروا الى الغمة والكرم ) . »

ينطفئ متى شاء ، لقد أمر أن تعمل لها مقاعد من  
الليف ، وتعطى الف شكل وصبغة ، لتكون عربية ! أما  
الآن ؛ فقد بقي هو وقطع من الحديد و... لاشيء !! .  
ولم يعد يسه ، إلا أن يذهب ، فيفتش عن مكان  
للسرقة ، او يكون سائلاً او خادماً ، او ينتظر الموت في  
مكان فيريح نفسه . هذا هو مصيره المحتوم ، في بلاد  
تبادل مساحتها ضعف مساحة ايران ، وليس فيها اليوم  
خمسة آلاف جبل ، بعدما كانت مركزاً لتجمع الجمال ،  
التي ترتبط حياة كل الشعب بها ، وهذا العدد القليل من  
الجمال في طريقه اليوم الى الزوال ، من اجل اعفاء  
السيارات الاميركية من « العرائم » التخلفية . . انها  
الحضارة والتجدد . . وخزن قطع الحديد من السيارات  
الاميركية المتلفة !! فما أبأسهم . وهم فرحون ، يشكرون  
ويحمدون ، ويقولون : لقد أصبحنا في جنة ، ولو دخلت  
بلادنا قبل خمس سنوات لما رأيت سيارة قط ، وما كنت  
تراه جهلاً وشقاوة وتعباً ، سيرنا وترحالنا كله على  
الجمال ، أما الآن ، فله الحمد ، طائرات « بوينغ » ،  
وسيارات مكيفة و... ! حتى أصبح أحدهم يستعيبك  
ويحتقرك ، إذا رآك مثلاً في سيارة « بيجو » ، لأن العاديين  
هناك ، يمتلكون « كاديلاك » و« شفرليت ٧١ و ٧٢ »  
فكيف... ؟! هذا تقدمهم . . ظاهر بلا شك ! .

عندما يدخل أوروبي أو أميركي مدينة الرياض اليوم ، سيندهش من التجدد ، فالسيارات كلها حديثة مائة بالمائة من طراز ٦٩ الى ٧٢ ، وليس لها مثيل في أي بلد من العالم ؛ من أميركا الى الشرق الأوسط ؛ كل بلد تراه متأخراً اقتصادياً ، تراه أكثر تجدداً وتجمالاً من غيره !! فعندما تقلع بك الطائرة من باريس ، لتهبط في دار السلام عاصمة تانزانيا ، تندهش من الجمال والجلال وعظمة البناءات ، وحدثة العمارات ، والسيارات التي هي آخر طراز حديث !! . فما هو التجميل ؟ انه التقدم في الاستهلاك ، الشيء الذي يقضون علينا من أجله ، ليسلبوا منا أمل الانتاج .. نعم ، الشرق كله ضحية الانتاج الاستهلاكي بواسطة التبعية والتقليد الأعمى !! .

### الحريات الفردية :

الحرية الفردية أداة تخدير كبرى لإغفال الحرية الاجتماعية ، حيث النباهة الاجتماعية القضية ذات الأهمية الكبرى . انهم ينادون بالحرية الفردية ، ويدعونك لها ، من أجل تمويه الأذهان ، والغفلة عن « النباهة الاجتماعية » ، حيث يرى الانسان نفسه حراً من الناحية الفردية ، في غذائه وشهواته . كقفص فيه طير ، وقد وضع في صالة مغلقة تماماً ، ثم فتح باب القفص . انه شعور



كاذب بالحرية . . لأن الأسير الذي يعلم أنه مأسور ، يحاول ان يطلق نفسه ، ويتحرر من الأسر ، بينما الذي لا يعلم أنه أسير ، ويشعر بالحرية ، فشعوره وهم وكذب ، وهو يشكر الله ويحمده على تلك الحرية المزيفة .

## حرية الجنس :

### لحرية الجنس نوعان اثنان :

أحدهما يقدمه الغرب هدية للشرق ، واسمه « حرية الجنس » بدلاً لما ينهيه ويسلبه من المواد الخام ! فالغرب يرى أن عليه ان يتحف الشرق مقابل ما أخذه من المواد الخام ، ولذا يسمح للشرقيين بأن يكونوا أحراراً من « الناحية الجنسية » بلا قيد ولا مانع . . وبعد ذلك ، تأتي أجهزة الدعاية ، والمواصلات الجماعية في الشرق لتؤكد وتدعو الى « الحرية الجنسية » عند جيل يتراوح سنه بين ١٨ و ٢٥ سنة . وعلى هذا ، رأى الغرب من اللازم عليه ان يلهمي هذا الجيل ويشغله « بالحرية الجنسية » . وفي اعتقاده ، ان هذا الجيل يتعرض لحالتين من الاضطراب : احدهما من اجل « الحرية الاجتماعية » والثانية ، حالة الاضطراب والتشويش الناتجة عن « الازمة الجنسية » ، وهكذا ، رأى الغربيون أنه من الأحرى افساح المجال ، أمام هذا الجيل في « حرية الجنس » ليعدموا منه

« الشعور » بالحاجة الى « الحرية الاجتماعية » الزائدة !  
أجل ! ان بإمكانهم أن يلهوه خمس سنوات او ست ، أي  
طيلة « الأزمة الجنسية » التي تضغط عليه ، حتى يشغل  
عن « الحرية الاجتماعية » ، فيتلهى بأهوائه ونزواته ، الى  
حد يعقد معه شعوره ، وبعد انقضاء هذه المدة يرتفع  
الخطر .

### حرية المرأة :

ماذا يقصد بحرية المرأة ؟ وانقصد ، الحرب التمهيدية !  
من أجل الإثارة ، وفتح باب الجدل ، والاختلاف بين  
الرجل والمرأة ، والهائهما عن الأساسيات من القضايا  
العادلة ، عن حقوقهما ، عن مشكلة الشرق والغرب ، عن  
مشكلة المستعمرين والخاضعين للاستعمار . . . .

### التقليد والتبعية :

لقد قيل الكثير عن هذه القضية ، لكن ، الشيء الذي لم  
يتطرق أحد اليه هو « دور المرأة في قضية التقليد » . ان  
أكبر عنصر ، يلعب دوراً أساسياً في « الحضارة  
الاستهلاكية » هو المرأة ، حيث لها السهم الأوفر ، والدور  
الكبير ، في نشر واشاعة الحضارة الاستهلاكية ، وتطور  
الأنواع والفرق والجماعات والعلاقات العائلية والروابط

الاجتماعية والسياسية في الثلاثين سنة الأخيرة ، مما يمتص  
 بحثاً خاصاً لا مجال له هنا ، لكنني . أصرت مثلاً في التسوية  
 وتقليد الآخرين : والمثل مأخوذ من أوروبا ، حيث يذهب  
 الأوروبيون إلى الغابات لصيد القردة حية سائلة فيصنع  
 الصيادون أداءً ممتوً بالصمغ اللزج تحت الأشجار ، أو على  
 ضفاف الأنهار ، في محب القردة ، وإناء آخر في رابطة  
 أخرى ، يشبه الإناء الأول ، لكن فيه ماء ، ويحسون آراءه  
 بانتظار مرور القردة . وعندما تأتي وتقف حذاء الإناء  
 المليء بالصمغ ، يرفع الصيادون أيديهم ، وترفع القردة  
 أيديها ، يغمس الصيادون أيديهم في لأواني المليئة بماء ،  
 فتغمس القردة أيديها في الأواني المليئة بنادة لصمغ اللزج  
 يجرح لصيادون أيديهم ، ويضعونها على حناهم كحاسة  
 التيمم ، فتعمل القردة مثلهم تماماً ، يسمح للصيادون  
 بأيديهم على وجوههم وعيونهم ، فتسمح القردة أيضاً على  
 الوجوه والعيون ! يقف هؤلاء مقابل الشمس ، فتقف  
 القردة مقابل الشمس !! وبعدها . تجف تلك المادة على  
 وجوه القردة ، فتلتصق أحفاسها وينعدر فتحها . وعندها  
 يذهب الصيادون إليها ويلقون القبض عليها بسهولة !! .



## الخلاصة

وفي النتيجة ، يعمل الاستعمار القديم على اشغال الشعوب والهائها عن « النباهة الانسانية » و « النباهة الاجتماعية » لإنشاء جيل مطابق لمقاييسه وحساباته . كأن تكون زنته أربعة مثاقيل ، وطول بضاعه أربعة ستمترات فقط ، وطريقته المثل ، حبة من الأمام ، وعبادة من الخلف ، وكتاب أدعية ، ومسجد ، وصلاة ، وصيام ، وتعزية ! هذا برنامجه اليومي والسلام .

هذا جيل ، ينشئه الاستعمار القديم ، جيل فارغ ، مضطرب ، لا يتحمل أي مسؤولية ! أما الاستعمار الجديد ، فمن أجل أن يسلط « النباهة الانسانية » و « النباهة الاجتماعية » ، يتمثل ويتخلص ب « عقيلة »

وسيارة « بيجو » و رزمة مناديل « كلينكس » وقدر من  
« المتاع » و « محفظة سجتجات » و « ديون » والسلام ، لا  
فكر ولا تعب ، لاهم ولا نصب ، ولا هم يحزنون . هذا  
هو لا أكثر !! .

أعيدوا النظر الى فتياتكم ، اللواتي تزوجن ، واللواتي لم  
يتزوجن بعد ، وانظروا الى ما كتبن عن أنفسهن ، وكيف  
عبّرن عما يجول في باطنهن ، حين كن ، في الصفوف  
الثانوية الخامسة والسادسة ، من سن ال ١٨ الى ما فوق ،  
تجدوا تشاؤماً وفلسفة . . . رباه ، لم خلقتني ، ايها الموت  
لم لا تأخذني ؟ ألا موتاً يباع فأشتريه ! . كلام مليء  
بالعواطف الخالية والعبارات الروائية . . ورقة النفس ،  
انها تظن نفسها سهرت الليل كله من شدة المرض ! ولقد  
ارادت ان تنتحر ، أو عازمت ان تلقي في بئر . . و . .  
و . . من هذه الخيالات والتصورات . .

لكنها الآن ، بعد ان تزوجت ، أضاعت « طرقها  
المثلى » كلها في الشهرين او الثلاثة أشهر الأولى من  
زواجها ، وأعطت طومار ذكرياتها لشخص يقرأه ، ولم  
تذهب لتسترده ، كما أنها تستحي أن تفتحه ، لأي شيء ؟  
لأن الأقساط والديون أمرضتها ، وافلجتها تماماً ، وليس  
من شفاء لآلامها سوى بطاقات اليانصيب ، واقتراع بنك

( عمران ) (١) ، وما أسرع ما تلتقي طرفاً دائرة عمرها ،  
فتخيب آمالها وتذهب هباءً !!

هذا جيل « الاستعمار » الحديث ، وذاك جيل  
« الاستعمار » القديم . الاستعمار الذي بات يرصد كل  
واحد منا ، نخرج أنفسنا من شكله القديم ، فيتلقانا  
بشكله الحديث ، نتمرد عليه في مكان ، فيلهينا ونقع في  
حبائله في مكان آخر ، نرفضه من ناحية ، فيسخرنا من  
ناحية أخرى ! نتنبه الى جانب منه ، فيشغلنا في جانب  
آخر ، نكتشف حرباً إيهامية ، فيوقعنا في حرب إيهامية  
أخرى . . وهكذا دائماً !! .

وعلى هذا ، فإن جيلنا أسير في أيدي تلك القدرات ،  
الى حد يمكنها ان تهزمه كيفما شاءت ، وطبقاً لمقاييس  
معينة ، تنتج كما تنتج من مادة المطاط ( البلاستيك ) انواع  
الأواني والسلع ، انهم أهل علم وصناعة ، ولديهم تلفزيون  
وصحف ومعارض ومسرحيات وفنون ، والى جانب هذا  
كله ، استخدموا الترجمة والعلوم ، وعلم الاجتماع ، كما  
أن وحدة القياس العالمي لهم ايضاً . فكيف نطمئن اذاً

---

(١) جوائز سحب البنك الوطني

الى عدم الوقوع في أسر « الاستحمار القديم » او  
« الاستحمار الجديد » كيف ؟ ونحن الصغار البسطاء  
الفاقلون نحزن ونصاب « بعقدة » من أجل أي شيء  
يسير ثم نسر ونفرح لأمر جزئي ... أحزاننا وأفراحنا ومثلنا  
العليا يسيرة جداً ! .

إن أي قضية فردية او اجتماعية ، أدبية كانت أم  
اخلاقية أم فلسفية ، دينية او غير دينية تُعرض علينا ،  
وهي بعيدة عن « النباهة الانسانية » و « النباهة  
الاجتماعية » ، ومنحرفة عنها ، هي استحمار ، قديم أو  
جديد مهما كانت مقدسة .